جامعة يحي فارس بالمـــدية

كلية : الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

صورة الجزائر في كتابات أليكسي دو توكفيل كتاب (نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان) أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر اللّغة و الأدب العربي

تخصص نقد حديث ومعاصر

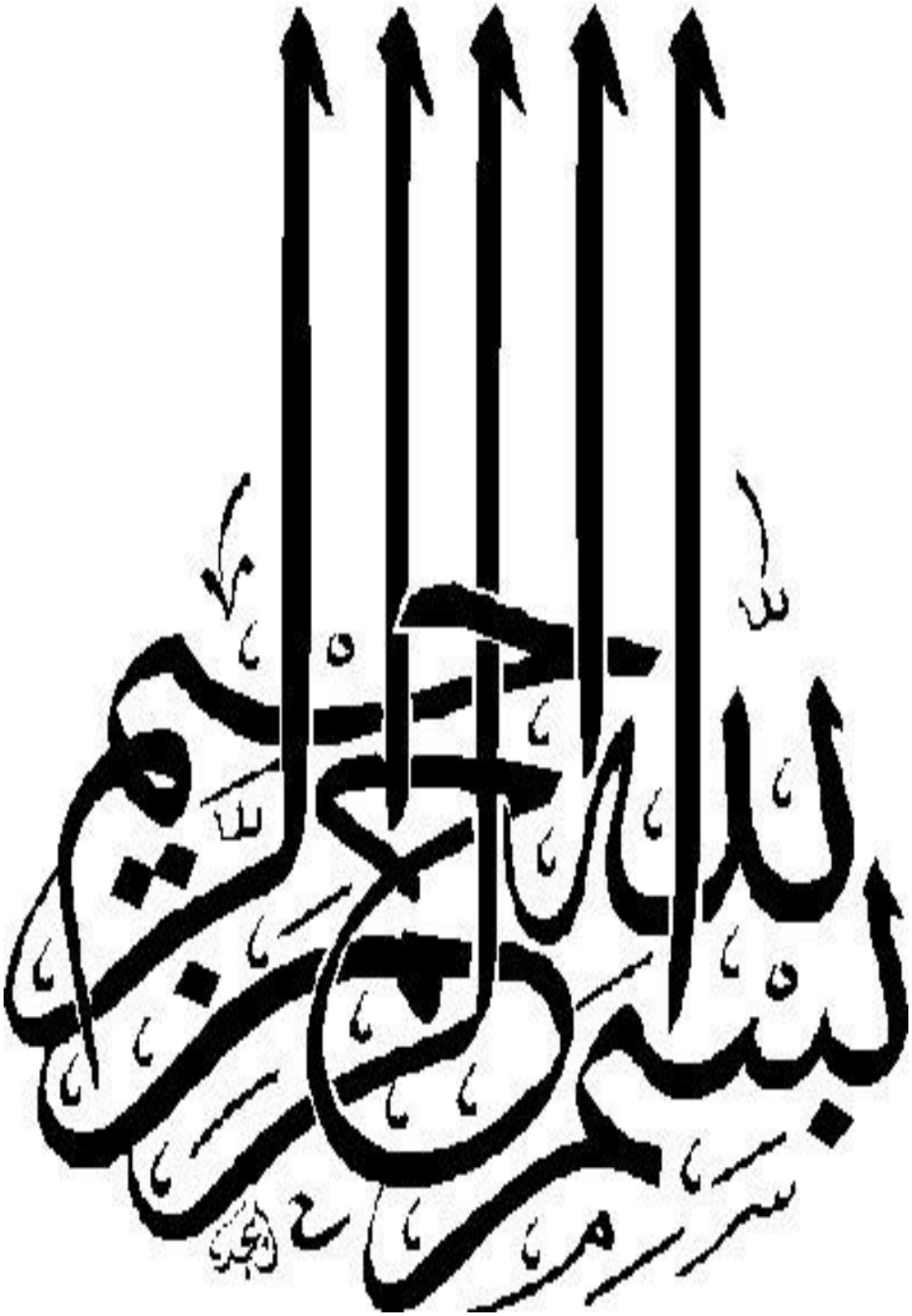
-إشراف الأستاذ:

بلال لكحل

-إعداد الطالبتين:

- جهيدة بوعمرة
- عبير لعوفي.

السنة الجامعية: 2023/2022


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال الله تعالي: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله."

تتناثر الكلمات حبرًا وحبًا ..

على صفائح الأوراق لكل من علمنا ومن أزال غيمة جهل مررنا بها..

برياح العلم الطيبة..

ولكل من أعاد رسم ملامحنا وتصحيح عثراتنا..

فإن قلنا شكرا فشكرنا لن يوفيكم سعيكم، فإن جفت حبرنا عن التعبير يكتبكم قلبتّ به صفاء الحب تعبيرًا

فالشكر وجزيل الشكر إلى من وجهنا وساندنا على الجد والمثابرة أستاذنا الكريم "لكحل بلال" فبارك الله لك وأسعدك أينما حطت بك الرحال .

كما نتقدم بالشكر الموصول إلى جميع أستاذة قسم الآداب اللذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي.

إلى كل من وضع بصمة ولو بسيطة في جمع المعلومة في إعداد هذا العمل.

إهداء

إلى نور يضيء عتمتي عندما تطفئني الأيام والظروف

إلى غيمة تظلني وتسبقني دون رغبة بردي لجميلها

إلى الأيدي التي تمد لي العون عندما أتعثر، وتدفعني لمقاومة كل هذه الأشياء التي تستعدي السقوط.

إلى عائلتي وبالأخص أمي الغالية.

إلى رمز الوفاء وظل حياتي ورفيق عمري زوجي الغالي

حفظه الله من كل شر، وإلى عائلة حداد.

إلى أولئك الذي أحبو بلا غرض، وأخلصوا بلا حدود، لم تؤرقهم المصالح أو تحركهم الأهواء، إلى رفيقاتي وبالأخص رفيقتي التي شاركتني في إعداد هذا البحث عبير.

إلى منارة العلم والعلماء إلى السرج الشامخ جامعة يحيى فارس وبالأخص قسم اللّغة والأدب العربي .

إلى الذي حمل أقدس رسالة في الحياة ومهد لي طريق العلم والمعرفة أستاذي المشرف "لكحل بلال"

جميدة

إهداء

إلى من شجعني على المثابرة طوال عمري، إلى الرجل الأبرز في حياتي

(والدي العزيز)

إلى من بها أعلو، وعليها أرتكز، إلى القلب المعطاء

(والدتي الحبيبة)

لأعظم وأغلى الوالدين في العالم، أهدي هذه المذكرة كعربون على حبي

وامتناني لكما على كل شيء فعلتموه لي.

لعائلتي الكريمة، الذين قدّموا لي الدعم والتشجيع طوال سنوات دراستي.

الى رفيقتي الرائعة جميدة التي شاركتني في إنجاز هذه المذكرة العلمية.

أهدي لكِ هذا العمل المشترك.

عبير

ملخص

كان دوتوكفيل من الأدباء و المفكرين الذين ساهموا في صياغة الخطاب الكولونيالي و دعموا الاحتلال الفرنسي للأراضي الأجنبية . وقد ألف دوتوكفي العديد من الكتب و المقالات التي تعبر عن رؤيته للعالم ، و من بينها (صورة الجزائر في كتابات دوتوكفبل) " نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال .

في هذا الخطاب قدم دوتوكفيل صورة مشوهة للجزائر و أشار إلى أن الجزائريين هم شعب بدائي و عنيف لا يملكون مدنا أو حضارة ، ودعى في كتاباته إلى الإستمرار في الاحتلال الفرنسي للجزائر وعدم إعطاء الإستقلال للجزائريين .

وكان يروج لفكرة أن الحضارة الفرنسية هي الأفضل و أنهم يجبوا أن يقوموا بنشرها في الأماكن التي يحتلونها بما في ذلك الجزائر .

الكلمات المفتاحية :

دوتوكفيل – الخطاب الكولونيالي . صورة الجزائر. الخطاب .

summary

Detocqueville was one of the writers and thinkers who contributed to the formulation of the colonial discourse and supported the French occupation of foreign lands. Dutukvi has authored many books and articles that express his vision of the world, including (The Image of Algeria in the Writings of Dutukvbel) “Texts about Algeria in the Philosophy of Occupation.”

In this speech, de Tocqueville presented a distorted image of Algeria and pointed out that the Algerians are a primitive and violent people who do not have cities or civilization, and called in his writings to continue the French occupation of Algeria and not to give independence to the Algerians.

He was promoting the idea that French civilization is the best and that they should spread it in the places they occupy, including Algeria.

key words :

Detocqueville - the colonial discourse - the image of Algeria - the discourse

مقدمة

مقدمة

لم يكن الاستعمار الفرنسي في الجزائر لم يكن استعمارا عسكريا أو اقتصاديا فقط، وإنما كان كذلك استعمارًا ثقافيًا ، حيث استعانت إدارة الاحتلال الفرنسي منذ البداية بمجموعة من العلماء والمفكرين والمستشرقين والأنثربولوجيين، لضرب المجتمع الجزائري في العمق والعمل على إعطاء الصبغة الشرعية للاستعمار الفرنسي، وترويج أن فرنسا ناشرة حضارة في مستعمراتها، وبذلك أسسوا خطابا كولونيالياً يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة المشروع الاستعماري؛ ليس تبرير الاستعمار فقط، وإنّما لنشر أفكار عدوانية حول المجتمع الإسلامي في الجزائر كرميه بالتعصب الديني والتخلف والهمجية، لذلك ما على الإدارة الفرنسية أو الاستعمارية إلّا تحضيره، وفي هذا الإطار تندرج أعمال المنظر والمؤرخ السياسي "**أليكسي دوتوكفيل**" من خلال نشاطاته المتعددة وتنقلاته التي عمقت معارفه وجعلته يطلع على الكثير من الأحداث والقضايا التي ميزت عصره، حيث حاول من خلال كتاباته المتعددة والمختلفة أن يكرّس لأطروحات إستعمارية خطيرة إعتمدت عليها الإدارة الإستعمارية منذ وقت مبكر كمرجعية لسياستها في جميع الميادين كما حاول أن يبرر همجية الإستعمار الفرنسي ويضفي عليه طابعًا شرعيًا، ومن هذا المنطلق وقع اختيارنا على هذا الموضوع الموسوم بـ :

صورة الجزائر في كتابات " أليكسي دوتوكفيل" ، كتاب (نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان) .

ـ وتكمن أهمية دراسة صورة الجزائر في كتابات **دوتوكفيل** "نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان" في فهم مختلف جوانب السياسة الاستعمارية الفرنسية، بتسليط الضوء على تصور **دوتوكفيل** عن المجتمع الجزائري والمساس به بالوقوف على بعض الأقوال والتشريعات التي تخدم الاستعمار ومصالح الكولونيالية، وتطبيقها على أرض الواقع

والأمر الثاني هو التركيز على أهم الردود التي توالت من خلال تصور دوتوكفيل عن الجزائر.

نهدف من خلال دراستنا لهذا الموضوع معرفة تصور "**دوتوكفيل**" عن الجزائر ونظرته عن المجتمع الجزائري خدمةً للاستعمار الفرنسي وفي شتى المستويات.

وقع اختيارنا لهذا الموضوع لدوافع ذاتية وأخرى موضوعية، فالذاتية هي رغبتنا في تعزيز معارفنا في تاريخ الجزائر إبّان الاستعمار الفرنسي، أما الموضوعية:

ـ هي قلة الدراسات التي تتناول مثل هذه المواضيع من جانب الدراسات الكولونيالية وما بعدها، حتى وإن وجدت فهي دراسات جزئية تتناول فترة معينة والبحث عن غاية السلطات الاستعمارية من خلال ما جاء به "**دوتوكفيل**" في كتابه (نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان).

ـ رغبتنا في الابتعاد عما هو مألوف وبذلك أردنا أن نتوجه الى دراسة صورة الجزائر عند واحد من المفكرين والسياسيين الذين كتبوا عن الجزائر.

ـ وتتمحور إشكالية دراستنا حول كيفية تجلي صورة الجزائر في كتاب "**دوتوكفيل**" (نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان)؟، وتتفرع عن الإشكالية مجموعة من التساؤلات منها:

1ـ ما هو الخطاب الكولونيالي؟ وما أهدافه؟

2ـ ما مفهوم ما بعد الكولونيالية؟ وما هي تنظيراتها؟

3ـ كيف تجلت صورة دوتوكفيل عن الجزائر؟ وكيف يمكن الرد على نظرته ؟

أما بخصوص المنهج المتبع في البحث فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لمناسبة طبيعة البحث وطبيعة النص المدروس، كما إستعنا بالمنهج التاريخي في حديثنا عن الاحتلال الفرنسي للجزائر وتحليل بعض التقارير الواردة في كتابه من وجهة تاريخية.

وجاءت خطة هذه الدراسة متضمنة على مقدمة ومدخل يعقبه فصلان، ثم خاتمة جمعت مجمل النتائج المتوصل إليها، كان المدخل عاما عن الاحتلال الفرنسي للجزائر. جاء الفصل الأول بعنوان الخطاب الكولونيالي مفهومه وأهدافه وتنظيرات مابعد الكولونيالية، يتضمن ثلاثة مباحث، فالمبحثِ الأول حول مفهوم الخطاب الكولونيالي، أما المبحث الثاني عن أهداف الخطاب الكولونيالي وتنظيرات ما بعد الكولونيالية، وقد حاولنا الإحاطة بكل ما يتعلق بأهداف الخطاب الكولونيالي وتنظيرات ما بعد الكولونيالية، أما المبحث الثالث فخصصناه لحضور الجزائر في الكتابات الأوروبية، متمثلة لذلك الكتابات عند الألمان والإسبان.

أما الفصل الثاني ، فقد تناولنا فيه صورة الجزائر في كتابات "**دوتوكفيل**" (نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان)، و به ثلاثة مباحث، حاولنا في المبحث الأول تسليط الضوء على بعض كتابات "**دوتوكفيل**" من خلال كتابه (نصوص عن الجزائر)، أما المبحث الثاني صورة الجزائر في كتابه "نصوص عن الجزائر"حاولنا معرفة صورة الجزائر باعتبارها أرضًا مستعمرةً و حيزًا جغرافيًا، و صورة الجزائر شعبًا وثقافةً، أما المبحث الثالث كان للرد عن صورة الجزائر عند "**دوتوكفيل**"، وذلك من خلال مساهمة الأمير عبد القادر في كسر نمطية الصورة الاستعمارية والكشف عن وحشية الاستعمار وحملاته الصليبية، ودور المؤسسات الدينية وكيف برز الكيان الجزائري ومحاولة بناء ثقافة وطنية جديدة.

وفي الأخير أنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع، أما عن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها بالدرجة الأولى

هي : (الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1833. 1855) لأبي العيد دودو ، و (في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار) لآنيا لومبا ، و (دراسات ما بعد الكولونيالية) لبيل اشكروفت ، و (الاستشراق) لإدوارد سعيد .

وقد واجهت هذه الدراسة صعوبات منها:

ـ صعوبة فهم محتوى الكتاب لقلة المراجع التي تخدم كتاب دوتوكفيل "نصوص عن الجزائر" لقلة الوقت وقلة الخبرة مع اتساع الجانب المعرفي.

مدخل

نظرة عامة في الاحتلال الفرنسي للجزائر

نظرة عامة عن الاحتلال الفرنسي للجزائر:

في الخامس من جويلية عام **1830** احتلت فرنسا الجزائر وشنت عليها حربا ضروسا لا رحمة فيها ولا هوادة مدة أكثر من 40 سنة أي من 1830 الى 1871، قتلونا وأحرقوا الزرع والضرع وجعلوا بلادنا نهبة الناهب، ثم عادوا الى الإسلام ورأوا فيه سابق غزو يبرر غزوهم، وسابق انتشار يبرر انتشارهم في شمال إفريقيا، إن هدف توغل العرب في شمال إفريقيا لم يكن إلا نشر الإسلام في هذه الديار.

أربعون سنة من حروب بين شعبين أحدهما منعدم من كل نظام عسكري عصري، والآخر الجيش الفرنسي كان ولا شك أنه أعظم جيش أوروبي في ذلك العهد، إن أبناء الشعب الجزائري لم يرضوا بالحياة الوضيعة البسيطة بل خاضوا غمار الحرب خوض الأبطال، حيث حاول هذا الشعب الدفاع عن شرفه بالسلاح حتى أرغم عدوه على استعمال الوسائل الوحشية، كما واجه شعبنا عدواً لدوداً يستعمل تكتيك الأرض المحروقة وسياسة النهب والقتل والغزات ينهبون الأراضي.[1]

1/أسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر:

أ/ الأسباب غير المباشرة:

في تقرير قدمه تاليران إلى المجتمع العلمي الفرنسي يقترح على حكومته احتلال الجزائر وجعلها مستعمرة نموذجية من أجل إنشاء إمبراطورية فرنسية في ما وراء البحر الأبيض المتوسط، وسار على نهجه الكثير من قادة الجيش الذين إقترحوا إرسال مزارعين فرنسيين للجزائر قصد استعمارها والإستفادة من مواردها الطبيعية والبشرية، كما شجع الضعف الذي أصاب الجزائر استخدام أهميتها التجارية في صالح اقتصاد فرنسا التي كانت تعيش مرحلة انتقالية من مرحلة ما قبل الرأسمالية التي تتطلب استثمار رؤوس أموال والبحث

[1] فرحات عباس، ليل الاستعمار، فيلا 6حي سعيد حمدين، 2012 الجزائر 2005

عن موارد أولية وأسواق تصريف فائض الإنتاج الصناعي، وهناك عدة أسباب سعت فرنسا لتحقيقها لاحتلال البلاد وفق أسس وغايات دينية وهناك من يرى هذه الأسباب هو حصول فرنسا على هيبتها الدولية بعدما فقدتها في أوروبا نظرا للمشاكل السياسية والاقتصادية التي كانت تعيشها لاستعمال جيشها كوسيلة للسيطرة والتوسع وما زاد الأمر تعقيدا هو تحطيم الأسطول البحري في معركة نافارين 1827 وارتفاع ديون فرنسا بسبب الأزمة الاقتصادية الى22.000.000 فرنك قديم ورغبة بتعويض ذلك باحتلال الجزائر التي تجعلها موطنا لفائض سكانها وسوق لمنتجاتها كما كانت تريد كسب الرأي العام الفرنسي إضافة إلى الموقع الاستراتيجي للجزائر الهام من تضاريس ومناخ التي تمنح للإنسان ظروفا مناسبة للعيش فهي قلب المغرب العربي وامتداد حضاري.

ب/ الأسباب المباشرة للاحتلال الفرنسي:

1/**أزمة الديون الفرنسية:** أقرضت حكومة الجزائر في سنة 1796 فرنسا مليون من الفرنكات بدون فوائد أثناء الثورة على أن تستعمل فرنسا هذا المبلغ في شراء الحبوب من الجزائر وفي سنة 1794 سمحت الجزائر للحكومة الفرنسية أن تمول في موانئ الجزائر بعدما كانت الأسواق الأوروبية مغلقة في وجه التجارة الفرنسية وكانت المعاملة تسير بطريقة مباشرة، لكنها تغيرت طريقة الدفع أثناء حكومة المؤتمر الى التاجرين بكري وبوشناق اللذان تواطأ حيث استطاع إقناع المسؤولين الفرنسيين باستيراد القمح الجزائري من شركتهما التي كانت تعاني من أزمة حادة ومجاعة خانقة بسبب الضغط الداخلي والسيطرة والطبقات الإقطاعية وإصابة رؤوس الأموال[1].

2/**حادثة المروحة:** بمناسبة عيد الفطر من عام 1828 القنصل "دوفال" عشية يوم العيد ليؤدي زيارته كما جرت العادة فأخبره الداي عن رسالته التي بعث بها الى الملك الفرنسي

[1]. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص14.

في شأن أداء الدين الذي بقي في أزمة الدولة الفرنسية فكان جواب القنصل:"أن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل متكلم " أراد القنصل استفزاز الداي وتحقيره هذا ما أكده القنصل الأمريكي "ويليام شارل" الذي كان بين الحاضرين ويؤكد بأن القنصل قد تعمد الإهانة وهذا ما مس كرامة الداي حسين الذي ضربه بالمروحة ضربة واحدة إلا أن "دوفال" ادعى ثلاث ضربات إلا أن بعض الروايات تقول أن الضرب لم يقع أبدا، لكن وقع تهديد بالضرب [1].

2/ الحرب النفسية والإعلامية الفرنسية:

عشية مغادرة الأسطول الفرنسي لميناء طولون لشن الحرب على الجزائر، قامت الحكومة الفرنسية بطبع منشور باللغة العربية لكي يتم توزيعه على الجزائريين وأبناء الأتراك قبل دخول الأراضي الجزائرية وتوضيح وجهة النظر الفرنسية بالنسبة لهذا الغزو الأوروبي لأرض إسلامية.

وقد جاء هذا البيان بمثابة خطة لخلق البلبلة في صفوف الجزائريين وإعطاءهم انطباعًا بأن الفرنسيين جاءوا لتخليص الجزائريين من السيطرة التركية، وبذلك يتضامنون مع فرنسا ولا يتصدون لها، وتظهر هذه الحقائق من خلال البيان الذي جاء فيه:[2]

"إننا نحن أصدقاءكم الفرنسيين نتوجه الآن نحو مدينة الجزائر، إننا ذاهبون لكي نطرد الأتراك من هناك.

إن الفرنسيين سيعاملونكم كما عاملوا المصريين إخوانكم الأعزّاء الذين لم يفتأوا يفكرون فينا ويتأسفون على فراقنا طوال الثلاثين سنة الماضية، منذ خرجونا من بلادهم، والذين ما زالوا يرسلون أبناءهم إلى فرنسا ليتعلموا القراءة والكتابة وكل فن وحرفة مفيدة، ونحن نعدكم

[1] يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى القرن 20 (الإستعمار الأوروبي الحديث و آسيا)، دار البصائر، الجزائر 2009، ص33 .

[2]. علي محمد الصّلّابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، دار المعرفة . بيروت لبنان، د.ن، ص 294.

باحترام نقودكم وبضائعكم ودينكم المقدس لأن ملك فرنسا المعظم حامي وطننا المحبوب يحمي كل دين فإذا كنتم لا تثقوا في كلمتنا وفي قوة سلاحنا فابتعدوا عن طريقنا ولا تنظموا إلى الأتراك الذين هم أعداؤنا وأعداؤكم، فابقوا هادئين. إن الفرنسيين ليسوا في حاجة إلى مساعدة لضرب وطرد الأتراك".

وكان لهذا البيان وبيانات أخرى وزعت في الجزائر الأثر الكبير في نفوس وجهاء مدينة الجزائر الذين كانوا يقولون: لا ينبغي لنا أن نعرض العاهل ولا سكان المدينة إلى أخطار محققة باستعمالنا وسائل الشدة والعنف.

وقد تحطمت معنويات التجار والمحاربين في الجزائر بمجرد استيلاء بورمون على حصن الإمبراطور وتأهبه لكي يزحف على العاصمة بجيوشه الكبيرة.

كان رجال التجارة والرأسماليون يميلون إلى الاستسلام لأن الجزائر ضائعة لا محالة، ولو دخل الفرنسيون بالقوة على أثر هجوم فإنهم سينهبون المدينة ويقتلون جميع السكان، وهؤلاء المساكين يبدو أنهم لم تكن لهم علاقة بالذاكرة التاريخية وماذا فعلت فرنسا لما دخلت مصر، وكيف التجأ القائد الفرنسي كليبر إلى العنف فدك القاهرة في عام 1800 بالمدافع من كل جانب، وتولى مشايخ الأزهر الوساطة وأخذوا من كليبر العفو الشامل والأمان، ولكنه ما لبث أن غدر بالمسلمين بعد أن خمدت الثورة، وكان اقتصاصه منهم رهيبا من إعدام وفرض غرامات فادحة على كثير من العلماء والأعيان، كما فرض الغرامات على أهل القاهرة جميعا، ولم يستثن منهم الطبقات الشعبية الكادحة[1].

[1]. علي محمد الصّلاّبي، المرجع السابق، ص 294 ص296 ص297.

أما يهود الجزائر فقد كتب عنهم المؤرخ الفرنسي جوليان: لقد استقبل يهود الجزائر المحتلين بالفرح، وعندما انتشر الجنود الفرنسيون في فوضى ينهبون المنازل كان اليهود يوجهونهم نحو الأماكن التي بها ما ينهب ويقومون بشراء ما نهبوا منهم بأبخس الأثمان[1].

3/ الجزائر الفرنسية إداريا ومؤسساتيا:

إعتمدت فرنسا الإستعمارية على عدّة عوامل وأسس لربط الجزائر بفرنسا، وتجسيد مفهوم الجزائر الفرنسية ميدانيا وعلى أرض الواقع لتجعل منها حتمية تاريخية وأمرا واقع من الصعب في سياساتها إسقاطه من قاموسها الإستعماري، لذلك بدأت بإنشاء المؤسسات على حساب المؤسسات السابقة التي كانت عليها الجزائر العثمانية، ومن هذا المنطق فإن قرار الحفاظ على وجود إستعماري فرنسي على كل التراب الجزائري منذ بداية الإحتلال عام 1830 لم يكن قرارًا ذا إجماع فرنسي في الإدارة المركزية الإستعمارية في باريس نظرا للظروف الصعبة التي كانت عليها هذه الإدارة خاصة النزاعات السلطوية التي ميزت السياسة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر[2]، من بين هذه العوامل نذكر:

أ ـ الإستيطان: (من 1830 إلى 1847)

لقد طبق من عام 1830 إلى 1840 إستيطان حر، والأفضل أن نقول فوضوي، فحالما إحتلت مدينة الجزائر إنقض على البلاد درف من البشر المتوحشين تكسب بالمتاجرة بأبنية المدن، وحاول إحتكار الأراضي، وقطع الغابات، وأصبح ساحل الجزائر الغني بالممتلكات والبيوت الريفية التي هجرها أصحابها جزئيا ميدانيا خاليا إستقر فيه، بالإضافة إلى الخمّاسين الذين كانوا يزرعون هذه الممتلكات، مشترون أوروبيون مشكوك في حسن نيتهم،

[1]. علي محمد الصّلّابي، المرجع نفسه، ص297.

[2]. بوغرة بوضرساية، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، ص39.

وأرستقراطيون رومانتيكيون و(المستوطنون ذوو القفازات الصفراء) الذين أصبح بعضهم روّاد أصليين.

وكان **الماريشال كلوزيل**، وهو الإستيطاني العنيف، هو القدوة في ذلك، فحصل بسعر رخيص على أملاك واسعة وحاول أن يجعل من ميتيجا "مستقرًا للتسول قي أوروبا"، فقدمت من إسبانيا وجزر الباليار، ومالطة، وإيطاليا قوارب تنقل سيلا من فقراء لصعاليك، زد على ذلك أنه أدخل إلى البلاد ورسميا عمال ومهاجرون ألمان وسويسريون، بلغ عدد السكان الأوروبيون سنة 1839 **(25000)** نسمة منهم **(11000)** فرنسي [1].

ب-أسباب ودوافع هجرة الأوروبيين غير الفرنسيين إلى الجزائر خلال القرن التاسع عشر:

يعتبر القرن التاسع عشر بالنسبة لأوروبا قرن التطور والتقدم، خاصة في الميدان الصناعي، الذي كانت تتزعمه كل من فرنسا وانجلترا، أما الدول الأوروبية الأخرى فلم تدخل بعد مرحلة التصنيع، فمثلا ألمانيا كانت في تلك الفترة لا تزال بلدًا زراعيًا ولم تبدأ فيها بعد حركة التصنيع.

من الأسباب الرئيسية التي شجعت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر أنه لم يكن لدى فرنسا خلال القرن التاسع عشر وبالخصوص في 1830 العنصر البشري الكافي الذي يمكنها من إحتلال كل هذه المنطقة الشاسعة لوحدها، فبعد ما كانت هي وروسيا تحتلان الصدارة في أوروبا من حيث الكثافة السكانية تعرضت فرنسا لثورات دامية شعبية كبيرة، كما إجتاحها ما يسمى بثورات الإمبراطورية، أضف إلى ذلك الحروب الكبرى والحملات الإستعمارية التي أنهكت شبابها.[2]

---

[1]. شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات بيروت. باريس، الطبعة الأولى 1982، ص42.

[2]. عمار هلال، احتلال الجزائر من خلال أدب الرحلة الألمان في القرن 19، في مجلة الثقافة السنة 12، العدد 72 محرم صفر، نوفمبر ديسمبر 1982، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ص 14 .19.

وباختصار، يمكن القول أن الاستيطان الأوروبي يعتبر أول أسلوب قد استعملته الإدارة الفرنسية للتحكم في الجزائر وفرض هيمنتها ليس على سكانها فحسب، بل وعلى أهم مورد من مواردها ألا وهي الأرض التي يرتبط بها السكان أشد ارتباط.

ولعل الشيء الهام الذي يمكن استنتاجه مما تقدم هو قيام الإدارة الفرنسية ب "تأجير أراضي الأوقاف والحبوس، ونزع ملكية المساحات الصغيرة من أراضي الأهالي وتجميعها في قطع كبيرة باسم "الإصلاح الزراعي" تباع بالمزاد العلني، ويعجز الأهالي في غالب الأحيان عن شراءها نظرا لضعف القوة الشرائية لعملتهم أمام المستعمر إعطاء صبغة قانونية لاستغلاله للأراضي أم لم يعط، وسواء صادر تلك الأراضي أم باعها في المزاد العلني أم اشتراها، فالنتيجة واحدة، أو متشابهة في كل الحالات وهي أن ملكية العقارات تخرج من أيدي الأهالي بقوة السلاح، أو بقوة القانون، أو بقوة الإغراء، وسرعان ما أنفق الأهالي المبالغ البسيطة التي استلموها ـ إن كانوا قد استلموا شيئا ـ ويعودون للعمل على نفس أراضيهم كعمال زراعيين لدى المستعمر[1].

وكان من نتائج سياسة الاستيطان حدوث انتفاضات شعبية عديدة في مختلف مناطق القطر: في الوسط، وفي الشرق، وفي الغرب، وفي الجنوب خلال الفترة الممتدة من 1870 إلى 1900. ومن تلك الثورات هناك ثورة المقراني والشيخ الحداد في 14 مارس و8 أفريل 1871 بالوسط من البلاد، وثورة العمري سنة 1876 وثورة الأوراس سنة 1879 بالشرق الجزائري، وثورة بوعمامة سنة 1881بالجنوب الغربي من القطر. لقد تحولت الجزائر خلال هذه الفترة إلى براكين متفرقة. واستغلت الإدارة الفرنسية هذا التصرف لتقوم بتوسيع نطاق مصادرة أراضي السكان الأصليين، إذ لجأت إلى مصادرة

[1]. عقيلة ضيف الله، سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائري (1830 ـ 1854)، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، بتصرف، ص 113.

أراضي الذين شاركوا في تلك الثورات وأجبرتهم على دفع ثمن الحرب. وقد أصبح هذا تقليدا تسير عليه الإدارة الفرنسية في الجزائر إلى أن اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954.[1]

4/ إصدار قوانين الأنديجينيا الزجرية والإرهابية:

من بين أهم أساليب التحكم الأخرى التي استعملتها الإدارة الفرنسية "قانون الأنديجينيا" الذي أصدرته الحكومة الفرنسية في 28 جوان 1881. وهو عبارة عن جملة من الأنظمة والقوانين الرهيبة والجائرة، تهدف الإدارة الفرنسية من وراء سنها وإصدارها إلى تطبيق سياسة الزجر والإرهاب ضد المسلمين الجزائريين، وبعبارة أخرى، إنه ـ أي "قانون الأنديجينيا" ـ(مجموعة من العقوبات الخاصة تحددها قوائم يزداد وينقص عدد المخالفات المسجلة فيها حسب "الحاجة والضرورة" ويعاقب عليها بالحبس أو الغرامة، وهي نوع من المخالفات التي لا ينص عليها القانون العادي ولا يعتبرها مخالفات).

5/ فرض التجنيد الإجباري:

عندما بدأت بوادر الحرب العالمية الأولى تلوح في الأفق، شرع المستوطنون الأوروبيون يضغطون على فرنسا لإجبارها على إصدار قانون التجنيد الإجباري على المسلمين الجزائريين، واستجابة لتلك الضغوطات، قامت فرنسا بسن قوانين 31 جانفي 1912 المتعلقة بفرض التجنيد الإجباري على المسلمين الجزائريين في هذه البلاد المسلمة، زاعمة أنها بذلك تحقق المساواة بينهم وبين الأوروبيين، ولكن في الواجبات فقط دون الحقوق.[2]

[1] .عقيلة ضيف الله، المرجع السابق، ص 114.

[2]. عقيلة ضيف الله، المرجع نفسه ص113 . 114.

تم احتلال فرنسا للجزائر في فترة تميزت بتفوق أوروبا على العالم العربي الإسلامي في جميع مجالات الحياة المادية، وخاصة في ميدان العلوم العصرية، والتكنولوجية الحربية، ومن ثمة تحرش الغرب على دار الإسلام وغزوه الاستعماري لها، واقتسامه لمختلف مناطقها.

ودار الإسلام في اعتقاد فرنسا والغرب، رمز "للغيرية" ومصدر التعصب الديني والتخلف الفكري وشعوبها رازحة عموما، تحت نير عبودية النظام العثماني.

ولا يمكن لأي مؤرخ، أو باحث أن يفهم الأسباب التي حثت المستعمر الفرنسي على بدء مغامرته التوسعية بالجزائر، والمجازر الوحشية التي ارتكبها طيلة الاحتلال ضد شعبها قصد إبادته على مرأى ومسمع الدول الغربية الأخرى، وجهوده الجنونية لمسخ شخصية الجزائريين، وتجريدها من مكوناتها، دينيا، ولغة وتقاليد، ولا سرعة تخليه عن باقي مستعمراته إبّان الحرب التحريرية، للحفاظ على "عمالاته " الجزائرية، إذا هو لم يراجع بإمعان تطور العلاقات الجزائرية الأوروبية منذ العهد الإسلامي[1].

وعندما ابتليت الجزائر والشعب الجزائري بالاستعمار الفرنسي ابتدءا من 1830، سعى هذا الاستعمار أول سعي، للقضاء على الإسلام كعقيدة دينية، والعربية كلغة للشعب الجزائري، وإحلال المسيحية والفرنسية محلها، لتحقيق ذلك، فهدّم المساجد وبنى الكنائس وحارب اللغة العربية، وسعى لنشر الفرنسية بدلها[2].

وبالتالي كان رد فعل الشعب الجزائري أنه لم يقف مكتوف الأيدي في هذا الميدان، ولم يتوان عن المعارضة، والمقاومة، بكل الوسائل المختلفة، فأعلن تمسكه الشديد بهويته الوطنية الدينية، وقاوم السياسة الفرنسية، فبنى المساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية ومعمرات، وشجع تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم اللغة العربية، وذلك بشكل مكثف وبحماس متقطّع النظير،

---

[1]. محمد العربي ، اللغة العربية من محنة الكولونيالية الى إشراقة الثورة التحريرية، منشورات المجلس، اللغة العربية، تنسيق حسن بهلول، مجلة اللغة العربية 2015 ،ص207.

[2]. المرجع نفسه، ص218.

وأرسل الكثير منهم الى معاهد القرويين، والزيتونة، والأزهر، للتعليم والتثقيف بالعربية وعلومها، ورفض بإضرار كل محاولات الإستعمار من أجل تنصيره، وفرنسته، وأبدى من الشجاعة والبطولة في هذا الميدان مالا نظير له لدى غيره من الشعوب التي ابتليت مثله بالاستعمار الأوروبي، وهو ما أدهش السلطات الإستعمارية الفرنسية نفسها وأربكها.

في القرن العشرين، تطور هذا التعليم العربي، وتوسع أكثر، بعد الحرب العالمية الأولى، وخاصة عندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 بقيادة الشيوخ: عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، والعربي تبسي، والعقبي، وغيرهم، اللذين حددوا سياستها ومشاريعها، في التربية والتعليم، ونشرهما بين الأجيال الجزائرية الصاعدة لحماية هوية الشعب الجزائري، كما حشدوا اليها آلاف التلاميذ والطلّاب، للدراسة، وكونوا مئات المعلمين لممارسة التعليم، وتوسع هذا الجهد وعم كل أطراف البلاد مابين الحربين العالميتين وإلى غاية اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954[1].

وبالنسبة لفئة المتعلمين الفرنسيين فقد هللوا لاحتلال الجزائر، ف"**أليكسي دوتوكفيل**" المعروف بإعجابه بالديمقراطية الأمريكية، قد وضع قيم الثورة الفرنسية والقيم الديمقراطية التي كان يتبجح بها وراء ظهره، إذ لم يتوان عن تبرير جرائم الفرنسيين في الجزائر وتغاضيه عنها باعتبارها شرا لا بد منه (غالبا من سمعت رجالا احترمهم، ولكن لا أتفق معهم، يقولون إنه ليس من الأخلاق حرق المحاصيل والمخازن أو الهجوم على رجال ونساء وأطفال عزل . ص127)، وأكثر من ذلك فقد دعا إلى تخريب ممتلكات الجزائريين لإرغامهم على الاستسلام، فحالة الحرب في رأيه: "تعطينا حق تخريب البلاد بأن نحرق المحاصيل في وقت الحصاد، وأن نقوم بغارات مفاجئة لنختطف الرجال والأغنام . ص127"[2].

---

[1]. محمد العربي، المرجع السابق، ص219.

[2]. محمد أرزقي فراد، تحرير تاريخنا من المدرسة الكولونيالية "بلاد الزواوة نموذجا"، منشورات المجلس2012،ص52.

شكل تفجير الثورة الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954 مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر المعاصر، من حيث أنه اعتبر وثبة نوعية في تعاطي الحركة الوطنية الجزائرية وبخاصة النخبة الثورية منها مع الواقع الاحتلالي الفرنسي المفروض منذ العدوان على الجزائر عام 1830 بنظرة أكثر واقعية وأشد عمقا، ارتكزت على معطيات محلية دافعة، وإقليمية محفزة ودولية مشجعة، باتجاه الجنوح نحو خيار الثورة المسلحة، كخيار أوحد لاستعادة الاستقلال واسترداد السيادة فكان خيار الثورة، المنحى السليم للخروج من المأزق الذي ولجته الحركة الوطنية، بفعل الانشطار والتشرذم، بيد أن ما يلفت النظر أن الثورة لم تكن منطوية على ذاتها، وبعيدة على العالم الخارجي وما يعج به من تطورات وأحداث وما يميزه من رؤى وأفكار وتصورات، فكان لزاما على الثورة وشعورا منها بأهمية دفعها وتطويرها، أن تركز على كافه الفضاءات، بصرف النظر عن طبيعتها وحجمها وكذا أهميتها ومدى قدرتها على التأثير في مجرى الأحداث.

لذلك نشطت حركة الثورة في الخارج، على مستويات مختلفة، إقليمية، جهوية ودولية، باعتماد آليات كثيرة ما فتئت تتنوع، تبعا لتنوع ظرفي الزمان والمكان، من: إعلامية، سياسية، دبلوماسية، ثقافية، قانونية، توخت الخروج من الطوق والحصار المضروب عليها، من مؤسسات الاحتلال الفرنسي ومحيطها الغربي المساند والداعم لها، والسعي الحثيث باتجاه التطلع إلى كسب الرأي العام العالمي على اختلاف توجيهاته الفكرية وتباين منطلقاته الأيديولوجية، وخلفياته الدينية، وهو أمكن الثورة تحقيقها ابتداء من سنة 1955 التي عرفت تحولا إيجابيا وعميقا جسّده التضامن الفاعل للصحفي الفرنسي روبير بارا Barrat Robert، ولعل مكمن الفعالية في مسعى بارا، هو الجرأة غير المسبوقة التي طبعت موقفه، والتي أبان عنها من خلال الحوار الذي أجراه مع اعمر أوعمران في الجبل، ونشره في جريدة "نوفال أوبرسرفاتور". وازداد نطاق التضامن واتسع مداه، ليشمل شخصيات أخرى فكرية، إعلامية وسياسية اجتمعت على فكرة وجوب إدانة الممارسات العدوانية لإدارة الاحتلال الفرنسي ضد

الشعب الجزائري، على إمتداد مناطق الجزائر، وخاصة بعد معركة الجزائر سنة 1957 وما عرفته من عمليات اعتقال، استنطاق وتعذيب، استعملت فيه مختلف الأدوات والوسائل، رغبة في حمل المستنطقين على البوح بما يعرفونه من معلومات حول التنظيم الثوري [1].

6/ القمع الإداري وتطويق حركة الثورة

هو شكل من أشكال القمع الذي اعتمدته سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر، ففي أول رد فعل سريع وارتجالي، يعكس درجة الارتباط الذي كانت عليه إدارة الاحتلال الفرنسي، نتيجة لوقع الصدمة عليها، بسبب التفجير المفاجئ للثورة، أصدر رئيس مجلس الوزراء، بيار منديس فرانس، في الخامس من شهر نوفمبر 1954، أي بعد مرور أربعة أيام فقط على اندلاع الثورة، مرسوما جاء بناءا على تقرير، أعده وقدّمه وزير الداخلية الفرنسي، فرانسو متيران، قضى بحلّ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وهو ما تضمنته المادّة الأولى من المرسوم والتي جاء فيها "إن الحركة من الانتصار للحريات الديمقراطية، فضلا عن جميع المنظمات والجمعيات المرتبطة بها مباشرة، هي محلولة، وتبقى كذلك على مستوى التراب الفرنسي". واللافت أن إدارة الاحتلال لم تكتف بهذا فقط بل واصلت مسعاها القمعي الإداري اعتقادا منها، أن ذلك من شأنه أن يوقف الثورة التي لم يمض على اندلاعها إلا أيام معدودات، حيث أنها عززت ذلك بقرار ثان صادر على والي الجزائر، بتاريخ الحادي عشر من شهر نوفمبر 1954 والذي قضى بالحجز على أملاك الحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية، وقد فصّلت المادة الأولى منه، مسألة الخضوع للرقابة القضائية، وفق الآتي "تعتبر خاضعة للحراسة القضائية، على مستوى مقاطعة الجزائر، جميع الأملاك، الحقوق، والمصالح التابعة لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية ولجميع المنظمات،

[1]. قندال جمال، المؤرخ الفرنسي بيير فيدال ناكي ودعم الثورة الجزائرية (1857 . 1962)، جامعة الشلف، الجزائر، المجلد الحادي عشر، العدد 2، سبتمبر 2020، ص163،162.

والجمعيات، التابعة لها، أو المرتبطة بها، والتي شملها منطوق الحل، بموجب مرسوم 5 نوفمبر 1954"[1].

ومن خلال ما جاء به الإستعمار الفرنسي في بداية احتلاله للجزائر كان تركيزه على الجانب العسكري إزاء مستعمراتها الجديدة حيث أعطت صلاحيات واسعة لقادة الجيوش المرابطة بالجزائر، في تسيير شؤون الجزائر، هذا الاهتمام يأتي إدراكا من فرنسا بأن الجيش هو العمود الفقري الذي يقودها إلى إتمام عملية إحتلال الجزائر والتوسع في أراضيها[2] .

يمكن استنتاج أن الإحتلال الفرنسي للجزائر أباد مايزيد عن نصف المجتمع الجزائري[3] ورغم هيمنة الإستعمار التي أوحت إلى كل الناس تقريبا أن الجزائر فرنسية إلى الأبد[4] ، إن ذاكرة الشعب ما تزال واعية لما حدث أثناء الثورة التحريرية من تعذيب وتقتيل وخطف وتخريب للمنازل واعتداء على الحرمات وإلى ما كتبه بعض الفرنسيين والأجانب لكي يسلب شعبنا حقوقه التي لا يمكن التفريط بها، وهناك جرائم ضد مقدسات ومقومات وأخلاق الشعب الجزائري كهدم المساجد والمؤسسات الدينية وتحويلها الى أغراض دينية غير إسلامية أو إلى مصالح عسكرية وتجارية[5].

---

[1]. قندال جمال، المرجع السابق، ص167 .168

. بوغرة بوضرساية، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني

[2] للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ص188.

[3]. محمد الأمين بلغيث، "من جرائم فرنسا الإستعمارية في الجزار"، مجلة أول نوفمبر، العدد 168، جويلية، 2006م، ص 30.

. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ظ1، د.غ.إ.، بيروت 1996م، ص 14.[4]

. أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 20.[5]

الفصل الأول: الخطاب الكولونيالي مفهومه وأهدافه

المبحث الأول: مفهوم الخطاب الكولونيالي

المبحث الثاني: أهداف الخطاب الكولونيالي وتنظيرات مابعد الكولونيالية

المبحث الثالث: حضور الجزائر في الكتابات الاوروبية

الفصل الأول: الخطاب الكولونيالي مفهومه وأهدافه

وقفنا في مدخل بحثنا عن الخطوط العريضة للإحتلال الفرنسي للجزائر، منتبهين للأسباب التي دفعت فرنسا لاحتلال الجزائر، ذاكرين لأهم الإجراءات والقوانين التي تخدم الإستعمار وتثبت أركانه، وسنعرض في الفصل الأول هذا مفهوم الخطاب الكولونيالي والذي من خلاله تم شرعنة الاحتلال من قبل القوى الغربية.

المبحث الأول:مفهوم **الخطاب الكولونيالي:**

أولا:مفهوم الخطاب

أ-لغة:

ذكر إبن منظور في لسان العرب أن الخطاب أو المخاطبة هي مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام، مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان. ويقال: رجل خطيب، وحسن الخطابة وجمع الخطيب خطباء، وقيل أن المخاطبة من الخطاب وقول خطب فلان إلى بخطبة، أخطبه أي أجابه. بمعنى أن مصدر الخطبة خَطَبَ ما يخطب به الكلام. أما في المعجم الوسيط فهو يحمل معنى الكلام إذ يقال تكالما وتحادثا.[1]

ب-إصطلاحا:

ارتبط الخطاب أساسا بميشال فوكوFoucoult.m(1948.1929) الذي إستخدمه لوصف الكيفية التي تعمل بها الأنسقة في الثقافة الإيديولوجية واللغة والمجتمع. هذا المصطلح حمل تعريفات عدة نذكر منها: الخطاب هو إنجاز الزمان والمكان يحتوي على شروط أهمها المخاطب، المخاطَب. وكذا تحديد كيان الخطاب المتمثلة في الأصوات،

[1]. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت،ط1، 1997، مجلد 2، مادة خ . ب.ص135.

التراكيب... الخ بمعنى أنه نص كلامي يحمل معلومات ورسائل يرد المتكلم "المرسل" إيصالها إلى المستمع "المتلقي".

الخطاب في كل مجتمع هو في نفس الوقت إنتاج مراقب، ومنتقى ومنظم ومعاه توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطاته ومخاطره، والتحكم في حدوثه المحتمل وإخفاء ماديته الثقيلة والرهيبة.[1]

فالخطاب هو شيء بين الأشياء، وهو ككل الأشياء موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة. فهو فقط ليس انعكاسا للصراعات السياسية، بل هو المسرح الذي يتم فيه استثمار الرغبة، فهو ذاته مدار الرغبة والسلطة وأن حقيقة منطوق ما ليس في صمت معناه، أو في الكلام الأخرس الذي تستخرجه عملية التعليق. بل إن الحقيقة قائمة في موقعه وفي إستراتيجيته المتحدث به، لكن فوكو يخطو خطوة بخطوة يحاول أن يبرز في درسه الإنتاجي أن الخطاب ربما لم يكن موضوع سلطة ككل الموضوعات الأخرى بل المدار الحاسم للسلطة ولماذا لا وكيف تفسر من ناحية أخرى البذخ في الاحتياطات وفي المقاييس التنظيمية التي تعودتالمجتمعات العربية على حسب الخطاب فيها وقد يقال أن هناك حالات يفلت فيها الخطاب من المراقبات وأن هناك شكل لصياغة المنطوقات وأنه يقع خارج نفوذ السلطة، وشكله الأكثر اختراقا والأقل مجادلة هو شكل الحقيقة ووجه الدقة.[2]

أما عند علماء الاجتماع فهو نسق من المعرفة تتحدد بواسطة فرد مشترك، وللنظرية الأدبية رأي آخر، فهو وسيلة لدراسة العمل الإبداعي في ضوء منظومة عقلية خاصة بالتراث الاجتماع " يتخذ موضوعها من اللسانيات بمختلف مناهجها ومفاهيمها... وابتعادها عن الأحكام الذاتية والمسبقة ".[3]

---

[1]. ميشال فوكو، نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا. دار التنوير للطباعة والنشر، د.ن، د. س ص 4.

[2]. ميشال فوكو، المرجع نفسه، ص49 .50.

[3]. هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع. ط1. 1432هـ.2011.ص39.

اللغة المستخدمة (أو استخدام اللغة)languag einuse لا اللغة باعتبارها نظاما مجردا. ولكن ثمة ضروبا منوعة من الدلالات لهذا المصطلح حتى في نطاق علوم اللغة. فيقول مايكل ستابز stubbs في كتابة "تحليل الخطاب"(1983) تعليقا على استخدام مصطلحي النص والخطاب text anddiscourse إن ذلك كثيرا ما يتسم بالغموض ويبعث على البلبلة. وهو يقول إن الخطاب كثيرا ما يوحي بأنه أطول وبأنه قد يتضمن أو لا يتضمن التفاعل.[1]

مصطلحا شائعا في عديد من فروع المعرفة، منها النظرية النقدية وعلم الاجتماع وعلم اللغة والفلسفة وعلم النفس الاجتماعي وغير ذلك حتى انه أصبح يترك دون تعريف كأنه صار من المسلمات،وهو يرد بكثرة في تحليل النصوص الأدبية ويكثر تداوله في الإشارة إلى نوع من التعقيد النظري بصور عويصة ومهمة أحيانا. وربما كان له النطاق الأوسع من الدلالات الممكنة بين المصطلحات النظرية الأدبية والثقافية، ومع ذلك فهو المصطلح الأقل تحديدا في النصوص النظرية. من ثمة لابد إتباع السبل التي تسعى لها للخروج بمعنى للمصطلح والطريقة الأوضح لتقصي دائرة معاينة البحث. [2]

ومصطلح خطاب كأي مصطلح غيره يمكن تعريفه بضده وبما ليس فيه وبالتالي فهو يتعرف في الغالب باختلافه عن سلسلة من المصطلحات من قبيل نص وجملة وعقيدة فكل هذه المصطلحات المقابلة تحدد معنى "الخطاب" فيقول جيوفيرى ليتش ومايكل شتورت مثلا: "الخطاب تواصل لغوي ينظر إليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع. أو تفاعل

[1]. الدكتور محمد عناني،المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي . عربي، الطبعة الثالثة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.ص.19.

[2]. سارة ميلز، الخطاب،ترجمة عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، شارع الجبلاية أوبيرا، الجزيرة،القاهرة، أكتوبر 2006 تحت إشراف جابرعصفور ص14.

شخصي يحدد شكله غرضه الاجتماعي، والنص تواصل لغوي سواء شفاهي أو مكتوب ينظر إليه باعتباره رسالة مشفرة في أداتها السمعية أو البصرية [1].

أما إميل بنفنيست يضع الخطاب في مقابل نسق اللغة فيقول:"الخطاب هو نطاق التواصل ,ولكنه يواصل ليضع الخطاب في مقابلة مع التاريخ، وهو فارق تطور بصورة أدق في الفرنسية عنه في الانجليزية وذلك لاستخدام صور شتى للفعل الماضي لسرد الأحداث في الفصحى وتقديم الأحداث في إطار مرجعي منطوق لابد من فهم الخطاب بمعناه الشامل.[2]

إن مصطلح الخطاب على المستوى اللغوي يشير إلى كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أو ملفوظا، غير أن الاستعمال الاصطلاحي تجاوز ذلك إلى مدلول آخر أكثر تحديدا يتصل بما لاحظه الفيلسوف هـ. دغرايس 1975 من أن الكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة مثال ذلك أن يقول شخص "ألا تزورني" فلا يفهم السامع من الجملة أنها سؤال على الرغم من أن ذلك هو شكلها النحوي، غير أن للخطاب مفهوما أخر ربما فاق المفهوم لألسني البحث في أهمية النقدية ذلك ما يتكور في كتابات بعض المفكرين المعاصرين ومن بينهم الفرنسي "ميشال فوكو " الذي استطاع أن يحفر لهذا المفهوم سياقا دلاليا اصطلاحيا مميزا عبر التنظير والاستعمال المكثف في العديد من الدراسات التي تشمل أركيولوجيا المعرفة. وكذلك في محاضراته نظام الخطاب فهو يحدد الخطاب بأنه معقد من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي تنتج الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والخاطرة في الوقت نفسه[3]

---

[1]. سارة ميلز، المرجع نفسه،ص15.

[2]. المرجع نفسه، ص 16.

[3]. ميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب 42 الشارع الملكي الاحباس، الطبعة الثالثة 2002،ص. 155

ومن أشهر الذين أفادوا من مفهوم الخطاب الناقد الأمريكي إدوارد سعيد في دراسته الشهيرة الاستشراق 1978 فالإستشراق كما يوظفه سعيد خطاب سلطوي غربي تناما حول الشرق واكتسبت مؤسساته وقواعده ومتخصصيه، ومن الصعب أي شخص خارج هذا الخطاب أن يدعي المقدرة على التحدث عن الشرق على نحو علمي فيقول "في اعتقادي انه من دون مفهوم الخطاب لا يستطيع المرء أن يفهم الحقل المنظم تنظيما هائلا الذي استطاعت أوروبا بواسطته أن تدير وتنتج الشرق سياسيا واجتماعيا وعسكريا وإيديولوجيا وعلميا وخياليا أثناء فترة ما بعد التنوير. [1]

وعليه فالخطاب يعد من القضايا الشائكة في الدرس النقدي نظرا لحداثة المفهوم وتعدد مرجعياته واختلاف الباحثين حوله، لكن ما يؤسس لمفهوم الخطاب هي تلك العلوم التي تعمل على إنشائه ووضع مبادئه، لذا يقول صلاح فضل:" لعل أهم الدراسات المشتركة بين العلوم المختلفة المتصلة بالخطاب هي الدراسات النفسية اللغوية والاجتماعية اللغوية، وهي التي تجرى لوضع الأسس التجريبية والنظرية لتحليل الخطاب وتخزينه وإعادة إنتاجه بالإضافة للقواعد العربية العامة، وهذه الإجراءات تتطلب استراتيجيات للفهم ذات طبيعة احتمالية، يتم خلالها تكوين الفروض التي تتعلق بالمشار إليه والروابط ومظاهر التماسك المتمثلة في الأبنية الكبرى للنصوص، وهنا تصبح القضايا المتصلة بالاختيار والتركيب والتجريد للمعلومات الماثلة في الخطاب ذات أهمية مناسبة وكذلك قضايا تكوين المعارف والعلوم وتحولاتها.[2]

استخدمت كلمة الخطاب في الأصل من القرن السادس عشر تقريبا لوصف أي نوع من التحدث أو الكلام أو المحادثة ولكن الكلمة أصبحت تستخدم بصورة متزايدة لوصف

---

[1]. ميجان الرويلي، مرجع سابق، ص156.157.

[2]صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، يناير 1978 . بإشراف أحمد مشاري العدواني

الحديث أو السرد أو التناول المطول والمفصل لأي موضوع متسم بطابع رسمي أكبر، أو مبحث أو أطروحة أو عظة. واستخدم اللغويين الكلمة مؤخرا بمعنى تخصصي لوصف أية وحدة كلامية أطول من جملة. [1]

ثانيا: مفهوم الكولونيالية (colonialism):

من منظور آنيا لومبا هي كلمة حسب قاموس أكسفورد للغة الانجليزية مشتقة من كلمة كولونيا التي كانت تعني مزرعة أو مستعمرة وأشارت كذلك إلى الرومانيين اللذين استقروا في أراض أخرى إلا أنهم احتفظوا بجنسيتهم، ووفقا لذلك يصفها معجم أكسفورد بأنها مستعمرة في بلد جديد... أي مجموعة من الناس يستقرون في موقع جديد ويشكلون جماعة خاضعة لدولتها الأم أو مرتبطة بها وهكذا تتشكل الجماعة، وتتألف من المستوطنين الأساسيين وأحفادهم ووارثيهم طالما أن الرابطة مع الدولة الأم مستمرة[2]، وبالتالي فالخطاب الاستعماري يمكن تعريفه "بأنه غزو أراضي وممتلكات شعب آخر والسيطرة عليها، معناه أن الخطاب الاستعماري أو الاستعمار ليس مجرد توسع عدد من القرى الأوروبية، بل لقد كان سمة واسعة الانتشار ومتكررة للتاريخ الإنساني"[3]، "ومنه لا يمكن عزل الاستعمار الأوروبي الحديث عن التواريخ المبكرة"[4].

أما من منظور زاهر رياض الذي يعرف الاستعمار بأنه امتداد نفوذ لدولة ما إلى دولة أخرى على أن يصحب هذا النفوذ للأرض والسكان لصالح الدولة صاحبة النفوذ، ففرض السيطرة على دولة بصاحبها استغلال الأرض والسكان قد يكون ذلك عسكريا وبالقوة

---

[1]. صلاح فضل، المرجع نفسه،ص.139.

[2]. آنيا لومبا ، في نظرية الإستعمار وما بعد الإستعمار الأدبية، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الجوار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص17.

[3]. المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4] ،آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية تر:محمد عبد الغني غنوم دار الجوار للطباعة والنشر والتوزيع سوريا، ط1، 2007،ص.17.

مثل الاستعمار الفرنسي للجزائر أو عن اتفاق مسبق حيث تخضع الدولة الضعيفة لدولة أقوى منها لفرض الحماية عليها أما بالانتداب أو الوصايا.[1]

إن الاتصال الاستعماري لا ينعكس فقط في اللغة أو الصور البيانية للنصوص الأدبية، فهو ليس ستارة خلفية فحسب أو سياقا تمثل أمامه المسرحيات الإنسانية، بل شكلا مركزيا لما يجب أن تقوله هذه النصوص عن الهوية والعلاقات والثقافة. [2]

لقد انقسم المنظرون حول خطاب الاستعمار إلى فئتين: فئة استلهمت من نظريات الخطاب وأخرى انطلقت من التحليل النفسي كقالب فكري من أمثال يونغ وهومي بابا وآن مكلينتوك نظرية التحليل النفسي، حيث وصفوا الاستعمار بأنه اختلال مرضي على مستوى دولة بكاملها، ويرى هؤلاء أن العلاقات بين الدول المستعمرة والأهالي يطبعها الشعور بالهذيان، فهي علاقة يمتزج فيها الولع بالرعب فقد يصبح البلد المستعمر مصدر خوف غير موضوعي وغير معقول.[3]

أما من منظور بيل اشكروفت: فيعد مصطلح الكولونيالية ذا أهمية في تحديد الشكل المحدد للإستغلال الثقافي الذي تناما بالتزامن مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الفائتة، وعلى الرغم من أن هذه الحضارات كانت تنظر إلى علاقاتها بتلك المستعمرات بوصفها علاقة قوة عظمى مركزية بالحدود الخارجية لثقافات محلية هامشية وغير متمدنة فقد تداخل عدد من العوامل الحاسمة في بنية ممارسة الإمبريالية فيما بعد عصر النهضة الأوروبية.[4]

---

[1]زاهر رياض، استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،1965 ص 6

[2]انيا لومبا، نفس المرجع ص 81

[3]حنفاوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم . ناشرون، منشورات الاختلاف 14 شارع جلول مشدل، الجزائر العاصمة، 2007 ص 93

[4]بيل اشكروفت، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية تر.أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة،الطبعة 1.2،ص.5.6.

من منظور إدوارد سعيد: المناهضة الكولونيالية هي الكفاح السياسي للشعوب المستعمر ضد إيديولوجيا الكولونيالية وممارستها وتمثل مناهضة الكولونيالية تلك النقطة التي تضع عندها القوالب المتنوعة للمناوأة مصاغة بوصفها مقاومة لعملية الكولونيالية واستعادة السيطرة المحلية ومن قبيل المفارقات أن الحركات المناهضة للكولونيالية الذي اقتبس فيه شكل الدولة القومية الأوروبية الحديثة ووظف بوصفه علامة على المقاومة.[1]

فالاستعمار هو زرع مستوطنات في بقاع من الأرض وكما يعبر مايكل دوبل فإن الإمبراطورية هي علاقة رسمية أو غير رسمية تتحكم فيها دولة ما بالسيادة السياسية الفعالة لمجتمع سياسي آخر ويمكن تحقيق هذه العلاقة بالقوة، أو بالتعاون السياسي أو بالتبعية الاقتصادية والاجتماعية أو الثقافية.[2]

ولقد أصبحت التنظيمات العشوائية للحكم الكولونيالية في بعض الأحيان مثل هيئة الإدارة العامة ومؤتمرات التمثيل النيابي السياسي المحلي في المطالبة بدون قومية مستقلة في عصر الكولونيالية.[3]

فالمانوية العنصرية الكولونيالية في العصر الحديث تعودان بجذورهما إلى عصر التنوير الأوروبي،الذي رأى في أوروبا مركز العالم وناقل النور إلى "المناطق البعيدة".

لم يرسم العنف فجر الاستعمار الكولونيالي الوردي فحسب، لكنه كان في صميم الأنظمة الكولونيالية انعكاسا للمانوية الكولونيالية ـ أي أن ما كان جيدا للمستعمَر كان سيئا للمستعمِر. وفي حين أن فانون كان يقدر هذا الانعكاس، خصوصا كما عبر عنه إيجابيا شعراء الزنوجة

---

[1] ادوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبوديب، دار الآداب، بيروت، 2014، ص63.

[2] نفسه، ص 80.

[3] بيل اشكروفت، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية تر.أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة،الطبعة 1.2،ص.63.

مثل سيزار من جهة، أو الفلاحين أو العمال من جهة أخرى، فإن مساهمته النظرية كانت في الوقت نفسه تطوير مفاهيم جديدة انطلاقا من هذه الإشكالية. [1]

ثالثا: الخطاب الكولونيالي

من خلال كل ما سبق تجري هناك عدة تساؤلات من خلالها نصل إلى مسألة مهمة تتعلق بماهية الخطاب الاستعماري وهل هي كلها متجانسة وتملك نفس النظرة أم هناك اختلاف. يمكن القول بأن هناك خطابات مختلفة في فترة الاستعمار لا تصور كل الأهالي بطرق سلبية، يعود إلى اختلاف السياق الذي كتبت فيه نصوص بعينها، فالثقافات التي قاومت التغلغل الاستعماري، وربما تعاونت مع السلطات الاستعمارية في إقامة المستعمرات، فإنها كانت توصف عموما بالثقافات المتحضرة والمحبة للسلام ولا تزال هذه النظرة سائدة إلى اليوم عبر ما يسمى بقانون تمجيد الاستعمار في الكثير من الدول، والمشترك في كل دراسات ما بعد الكولونيالية هو ذلك الاهتمام لا بانقضاء الحداثة الأدبية، بل بإعادة تحديد موقعها الثقافي وإلى جانب من هي تقف في ذلك الاتصام المريع مابين القوة والحقيقة.[2]

ومن المفكرين من يضعون الخطاب في تضاد مع الإيديولوجيا فيقول "روجر فاولر" على سبيل المثال: (الخطاب كلام أو كتابة، ينظر إليه من منظور المعتقدات والقيم والمقولات التي يجسدها)، فهذه المعتقدات والقيم تمثل طريقة للنظر إلى الكون. تنظيم للتجربة أو عرضها ـ الايدولوجيا بالمعنى المحايد غير لازدرائي وأنماط الخطاب تحليل

[1]. نايجل سي. غبسون، فانون المخيلة بعد. الكولونيالية، ترجمة خالد عايد أبو هديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.ص.33.34.

[2]طارق ثابت، هوية الأدب بين الحضور والغياب في الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالية، مجلة الأثر، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، كلية الأدب الجزائر، ديسمبر 2014.ص.104

مختلف صور عرض التجربة رموزا ومصدر صور العرض هذه هو السياق الذي يرد الخطاب ضمنه.[1]

نفي الخطاب الكولونيالي قد يكون هناك تشكل مختلف للثنائية الجذرية الواحدة . مستعمَر مستعمِر والتي يعاد التعبير عنها في أي نص معين بعدد من الطرق مثل:

المستعمِر: المستعمَر

متحضر: بدائي

متقدم: متأخر

خير: شرير

إنساني: وحشي

معلم: تلميذ

طبيب: مريض

ويشكل مفهوم الثنائي فئة وهي فئة سوفتكون نطاق التابو ولكن بنفس القدر من الأهمية يمكن قراءة البنيان من أعلى إلى أسفل وكذا من اليمين إلى اليسار بحيث تكون كلمات المستعمر والأبيض والإنساني، والجميل جملة ضد المستعمر، والأسود والوحشي القبيح. وكما هو واضح وهي كلمات تدل على الهيمنة.[2]

كما أن فكرة الاستعمار ذاتها قائمة على خطاب مصطبغ بالرغبة الجنسية للاغتصاب والإيلاج وتحييل بينما تقدم العلاقة اللاحقة بين المستعمِر والمستعمَر في الغالب في خطاب

[1] سارة ميلز، الخطاب، ترجمة عبد الوهاب علوب، المركز القومي للترجمة، شارع الجبلاية أوبيرا، الجزيرة، القاهرة، أكتوبر 2006 تحت إشراف جابر عصفور.ص.17.

[2] بيل اشكر وفت، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ت ر:أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1 2010.ص 79.

يعبق بالغرائبية[1] الجنسية وخطاب الكولونيالية تتخلله صور للجنسانية العدوانية. وصور الهوس بفكرة الهجين [2] والمختلط عرقيا.[3]الخطاب يتواتر استخدام هذا المصطلح في النظرية المعاصرة، وغالبا ما يوظف في مجال النقد ما بعد الكولونيالي المقتبس على وجه الخصوص من استخدام فوكو لهذا المفهوم.

غالبا ما يتكلم خطاب الكولونيالية الانجليزية ما بعد التنوير[4] بلسان متشعب، لا بلسان كاذب. وإذا ما كانت الكولونيالية تضطلع بالقوة باسم التاريخ، فإنها تمارس سلطتها مرة عبر صور الهزل والسخرية.

يمثل التنكر ضربا من التسوية المنطوية على مفارقة ساخرة، وذلك ضمن اقتصاد الخطاب الكولونيالي الذي يتسم بانطوائه على عناصر متصارعة والذي يصفه إدوارد سعيد بأنه ضرب من التوتر بين الرؤية الشمولية التزامنية الخاصة بالسيطرة (وما تولده من الحاجة إلى هوية وحالة من الركود والسكون) وبين الضغط المقابل الذي يمارسه التاريخ (وما يولده من تغير واختلاف).

وما يعنيه ذلك هو أن خطاب التنكر[5] مبني حول ضرب من التجاذب، فلكي يكون التنكر فعالا، ينبغي ألا يكف عن إنتاج انزلاقه وإفراطه، واختلافه، وبذا فإن سلطة هذا النمط من الخطاب الكولونيالي الذي أدعوه بالتنكر تكون منزوعة بحالة من عدم الحسم، حيث يظهر التنكر بمثابة تمثيل لاختلاف هو ذاته صيرورة من الإنكار.[6]

---

[1] الغرائبية : هي ملازمة لكل خطاب تكون فيه الأحداث غريبة من عالم القارئو بعيدة عن منطق تعامله ، الكبير الداديسي ،الغرائبية و أزمة الجنس بين الخطيئة و التطهير 2015 ،ص23 .

[2] هو الشخص الذي يولد من أبوين مختلفي العرق و الجنس و الهجينة من الناس كان يطلق على أي شخص أبوه عربي و أمه أعجمية ، آية أحمد زقزوق المرسال 2023 ،WWW.almirsal.com

[3]. بيل اشكروفت، مرجع سابق، ص. 99

[4] هو مصطلح مشتق من الحداثة وأول من استعمله هو هيسمانز سنة 1879 ووظفه بيوتنز قبل الحرب العالمية الأولى في كتابه أزمة الثقافة الأوروبية ، زواوي بغورة ، ما بعد الحداثة والتنوير ،موقف الأنتولوجيا التاريخية ، دراسة نقدية ،ط 1، دار النشر بيروت 2009 ص12 .

[5] هو التنكر للماضي أو للأهل بسبب ماضي عاشوه و لذلك يحملون نقمة عليه ، موقع ويكيبيديا .

[6]. هومي بابا، موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، دار الثقافة،الطبعة الأولى2004، العدد 569، ص.178.

كما جرى تداول هذا المصطلح بعدما وظفه إدوارد سعيد الذي رأى في فكرة "ميشيل فوكو" عن الخطاب وسيلة لوصف تلك المنظومة التي تنشأ بداخلها ذلك المجال من الممارسات الذي اصطلح عليه اسم " كولونيالي " وقد استعمل مؤلفه الإستشراق الذي درس الطرق التي عمل من خلالها الخطاب الكولونيالي بوصفه أداة لفرض السلطة ، ما أصبح يعرف باسم نظرية الخطاب الكولونيالي تلك النظرية التي برزت في ثمانينات القرن الماضي واتخذت الخطاب الكولونيالي مجالا للدراسة وفضلا عن سعيد يعد أشهر مُنظر للخطاب الكولونيالي "هومي بابا" الذي افترض تحليله وجود تناقضات معينة معطلة داخل العلاقات الكولونيالية مثل الهجنة والازدواج الوحداني، والتقليد وهي تناقضات كشف غياب الحصانة الجوهرية عن الخطاب الكولونيالي.[1]

كما ينزع الخطاب الكولونيالي بطبيعة الحال نحو استبعاد المقولات المتعلقة باستغلال الموارد المملوكة للمستعمر، والمكانة السياسية التي تكسبها القوى المستعمرة، وأهمية توسع الإمبراطورية بالنسبة للسياسة الداخلية في الدولة المستعمرة، ، إذ إن الخطاب الكولونيالي يشكل ذهنية المستعمِر بنفس القدر الذي يشكل به ذهنية المستعمَر، أما المقولات التي تناهض الخطاب الكولونيالي فلا يمكن لها أن تنطلق دون تجشم المعاملة القاسية أو دون أن يبدو الأشخاص اللذين يصدرونها غريبي الأطوار ومختلي العقول.[2]

مساهمة تحليل الخطاب الكولونيالي تكمن في تقديمه في إطار مهم للعمل الآخر بالتشديد على أن جميع الرؤى بشأن الكولونيالية تشترك في التعامل مع وسيط خطابي مشترك، وهو الذي كان وسيطا للكولونيالية نفسها: اللغة المستخدمة لتمثيل الكولونيالية أو وضعها موضع

[1] بيل اشكر وفت، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ت ر:أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1،2010،ص.100/101.

[2]. نفسه، ص.101.102.

التنفيذ أو توظيفها أو تحليلها ليست بالشفافة أو البريئة أو اللاتاريخية ولا هي ببساطة أداتية.[1]

إن الخطاب الكولونيالي بشقيه الفرنسي والبريطاني لم يقتصر على فرض الهيمنة العسكرية والسياسية بل تغلغل حتى في الثقافة والأدب والفن، وذلك من خلال خلق نخب ثقافية تكون مرجعياتها الثقافية الغربية، وهذه ركيزة في الخطاب الكولونيالي بحيث تصبح الثقافة الكولونيالية هي المعيار الذي يقاس عليه المثقف عن غيره في البلدان الشرقية وخصوصاً في الدول العربية التي استندت في خطابها الثقافي معيارياً على الخطاب الثقافي الكولونيالي في تحديد الجيد والمتميز في الأدب والفن عن غيره.

إن الخطاب الكولونيالي القديم الذي كان موجها إلى بلدان شرقية و غير شرقية امتدت في إفريقيا بامتياز، والذي استمر حتى العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين وبعدها انتقلت الثقافة الكولونيالية بماضيها الاستعماري الى (أمريكا) بعد أن انتقل مركز الحضارة والقوة الغربية إليها، وأصبح الخطاب يطبق من خلالها في الشرق، وذلك لما يشكله الشرق من أهمية خاصة في الفكر الكولونيالي الجديد ذات الصبغة الإستشراقية الأمريكية، والسبب يعود إلى موقع الشرق "الجغرافي السياسي (الجيوبوليتيك geopolitical) من جعل الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية تكثف تواجدها وهيمنتها على الأماكن التي كانت تهيمن عليها بريطانيا وفرنسا في السابق[2].

إذ عملت الامبريالية الأمريكية على وفق خطاب ثقافي موجه إلى العالم أجمع من أجل تحويل هذا المفهوم من مجرد مقولات إلى تطبيق فعلي على أرض الواقع. كذلك عمل

---

[1] بيل اشكر وفت، مرجع سابق، ص.289.

[2] محمد كريم الساعدي، **الإشكالية الثقافية لخطاب ما بعد الكولونيالية (المسرح أنموذجا) جدلية الضد الثقافي لأفعال الكولونيالية الجديدة**. دار الفنون والآداب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2016م،ص.36.

الخطاب الكولونيالي الجديد في توظيف مفهوم آخر لتبرير قوة وتفوق (أمريكا) عالميا من خلال (القوة في إخضاع الآخر).[1]

و من خلال ما سبق يتضح لنا أن الخطاب الكولونيالي سعى إلى تبرير و تشريع الإستعمار و السيطرة الإستعمارية على الشعوب والأمم التي تحت الاحتلال من خلال إقناع المجتمع الدولي و الشعوب بأن الاحتلال يتم للأغراض الإنسانية و لصالحهم ، وأن الحضارة الآسيوية و الإفريقية والأمريكية اللاتينية لم تكن و ستظل في حالة تخلف و جهل ،وأن الإستعمار هو السبيل الوحيد لتحديثها و إعادة بنائها لتسير على درب التقدم و التحضر .

[1]. محمد كريم الساعدي، المرجع نفسه، ص 38.

المبحث الثاني: أهداف الخطاب الكولونيالي وتنظيرات ما بعد الكولونيالية:

1ـ أهداف الخطاب الكولونيالي:

أفضت التجربة الاستعمارية الحديثة التي بدأت منذ مطلع القرن السادس عشر، وشملت معظم أرجاء العالم، إلى تدمير كثير من المأثورات الثقافية الأصلية، وتخريب الذاكرة التاريخية للشعوب المستعمرة، واستعباد مالا يمتثل لرؤية المستعمِر، فوصمت بالبدائية كل ممارسة إجتماعية أو ثقافية أو دينية مهما كانت وظيفتها، فلم ينظر إليها بعين التقدير ،إنما بالغرابة؛ إذ تتعالى منها رائحة الأسطورة، ومجافاة الواقع، والعجز عن تفسيره، وأصبح أمر كبحها مشروعاً، فلا سيادة إلا لفعل المستعمِر القائم على نفعية مخطط لها، حيث تجرد ممارسات الشعوب المستعمَرة من شرعيتها التاريخية، فتوصف بأنها طقوس بدائية؛ ذلك أن الاتصال بالطبيعة والإهتمام بها، وهو مبدأ إنساني تولدت عنه فكرة الإنتماء والهوية، إستبدل بضرب مختلف من العلاقات بين البشر يقوم على التبعية من خلال القوة وبسط النفوذ والهيمنة.[1]كل ذلك ينطوي ضمن أهداف إستعمارية نذكر منها:

ـ هيمنة الدول المستعمِرة وبسط نفوذها على الموارد الطبيعية والثروات، حيث أخضعت المستعمَرين الى علاقة تبعية مع المركز الاستعماري الغربي، فأصبحت الطبيعة موضوعا للنهب واستغلال الثروات والموارد الطبيعية.

ـتحقيق أكبر استفادة الكاملة من الموارد الطبيعية والبشرية مما أدت الى تخريب الطبيعة بين المستعمَر والمستعمر وعبودية الإنسان.[2]

---

[1]. عبد الله إبراهيم، التّخيل التاريخي؛ السرد والإمبراطورية، والتجربة الاستعماريّة / نقد . أدب، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2011، ص 240.

[2] المرجع نفسه، ص 240.

ـ تهميش الآخر واستعباده وجعله تابعا حيث محيت تواريخه الأصلية، واقتُرحت لها تواريخ مغايرة تستجيب للرؤية الإستعمارية.[1]

ـ يهدف الى تصور الشعوب المستعمرة أيًا كانت طبيعة تشكلاتها الاجتماعية وتواريخها الثقافية بوصفها بدائية في مقابل شعوب المستعمرين المتحضرة.

ـ ينزع الخطاب الكولونيالي نحو استبعاد المقولات المتعلقة باستغلال الموارد المملوكة للمستعمر والمكانة السياسية التي تكسبها القوى المستعمِرة.

ـ يخفي الخطاب الكولونيالي المنافع في مقولات تدور حول المستعمر والطبيعة البدائية للأعراق الأخرى.

ـ يشكل الخطاب الكولونيالي ذهنية المستعمِر بنفس القدر الذي يشكل به ذهنية المستعمَر[2].

ـ تكمن مساهمة الخطاب الكولونيالي في تقديمه لإطار مهم للعمل الآخر بالتشديد على أن جميع الرؤى بشأن الكولونيالية تشترك في التعامل مع وسط خطاب مشترك [3].

ـ تهدف القوة الاستعمارية على إنتاج المعلومات وتحدد موقف القوة التي تتحدث منها، وكون المرء من الرعايا الاستعماريين أو ممثلا للقوة المستعمرة يدعم وضعه باعتباره ذات عارفة.[4]

---

[1]. عبد الله إبراهيم، مرجع سابق،،ص 142/141.

[2]. بيل اشكروفت، بيل اشكر وفت، مرجع سابق، ص101 . 102.

[3]. المرجع نفسه، ص 289.

[4]. سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، شارع الجبايلية بالأوبيرا، الجزيرة القاهرة 2016، ص 130.

أ- الأهداف الاقتصادية:

- تزويد الإدارة الفرنسية بمختلف الموظفين والإطارات والكفاءات الفنية، في جميع المجالات لتهيئة أرضية جديدة، من شأنها أن تساهم في نمو الاقتصاد الفرنسي، بواسطة استغلال الإمكانيات وثروات البلد الجديد.

- أن يحكم ارتباط المستوطنين بالسوق الأوروبية باستطاعتهم فهم وتغيير بنية وأهداف الزراعي الجزائرية من أجل هدم السوق الفرنسية.

- جعل الأرض القاعدة المادية والشرعية لهم.

- جعل المستعمر الأوروبي والفرنسي مصدر الموارد الأولية وحرمان الشعب الجزائري من تطوير قدراته.[1]

ب - الأهداف الاجتماعية:

- تعظيم الهجرة الأوروبية من أجل اختلاف ودمج بين الأجناس البشرية.[2]

- تأمين النهب الاستعماري والتوسع فيه بتحميل المستوطنين قسما من أعباء الدفاع.[3]

- تدمير الصمود المعنوي للشعب.

- استخدام الاستيطان كأداة للتخلص من العمال الثائرين والعاطلين والمشاغبين والمجرمين والخارجين عن القانون.

- اجتثاث السكان الأصليين من أراضيهم والاستيلاء عليهم. [4]

---

[1]. عميراوي أحميدة: قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للنشر، عين مليلة، ص 232/ 233.

[2]. نفسه، ص 11.

[3]بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830- 1833، قسم اللغة العربية، دار النفائس، تاريخ الإصدار، 1 يناير 1986، ص 164.

[4]. طيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار النشر المنابع، الجزائر 2004، ص 160.

ج ـ الأهداف الثقافية:

ـ تغيير الشعوب البدائية من مستعمراتها وجعلها أكثر ولاء وإخلاصا في خدمة مشاريع المستوطنين، وتشتيت أبناء الأهالي منذ الطفولة والتأثير بعادات وتقاليد المستوطنين.[1]

ـ غلق المدارس ونفي العلماء وحرمانهم من المساجد والزوايا.[2]

ـ الزيادة من اتساع حركة التبشير المسيحي ونشر الثقافات الغربية.[3]

2ـ تنظيرات ما بعد الكولونيالية:

يحتمل خطاب ما بعد الكولونيالية تحالفا بين عدّة علوم وتيارات ونظريات إذ نعثر على نصوص تصنف في مستوى النصوص الكولونيالية أو نصوص ما بعد استعمارية، ومن هنا نتج لنا خطاب نقدي، يقوم على منهجية البحث في النصوص التي تمثل الاستعمار فاعلا، أو بمعنى خطاب ما بعد الكولونيالية ؛ نظرية أدبية ومدرسة نقدية.[4] ففي بداية الثمانينات من القرن الماضي غدت دراسات الكومنولث الأدبية جزءاً من حقل البحث الأدبي والثقافي والسياسي والتاريخي، الذي ندعوه حقل الدراسات ما بعد الكولونيالية(postcolonial studies)، إن النظرية مابعد الكولونيالية تنظر إلى الأشكال الثقافية الهجينة الناجمة عنها بوصفها أوضاعاً كاشفة ودالة تسمح على الكشف عن الريب الباطنية وحالات المقاومة التي قمعها الغرب في مسلكه كما أنها تسمح بهدم الصورة

---

[1]. أحمد طالب إبراهيمي، من نصفية الاستعمار الى الثروة الثقافية، تر: عيسى حنفي، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص16.

[2]. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، 1996، ص 208.

[3]. نادية طرشون، الهجرة الأوروبية نحو المشرق العربي، طبعة خاصة لوزارة المجاهد، الجزائر 2007، ص 171.

[4]. رامي أبو شهاب، الرسيس والمخاتلة (خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر النظرية والتطبيق)، الطبعة الأولى 2013، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 125.

الخارجية التي تبدو فيها الإمبريالية والرأسمالية لا تزالان تتصارعان على نحو تقليدي حتى الوقت الحاضر.

إتفق نقاد ومنظرو ما بعد الكولونيالية على إعادة تقييم العلاقة التقليدية القائمة بين الحضارة ورعاياها المستعمَرين، وقد اتفق هؤلاء النقاد على أن بؤرة اهتمامهم إنما تكون على القمع الكولونيالي والكولونيالي الجديد وعلى مقاومة الكولونيالية وعلى هوية المستعمِر والمستعمَر وعلى أنماط التفاعل القائم بين هاتين الهويتين وعلى الهجرة مابعد الكولونيالية إلى الحاضرة وعلى التبادلات الثقافية بين المستعمِر والمستعمَر وما يترتب على نهجي كلتا الثقافتين من نتائج [1]، وقد يتفق منظرو ونقاد مابعد الكولونيالية على أن مشروعهم يتصل اتصالاً وثيقاً ببواكير عالم القرن الحادي والعشرين، الذي ربما اختفت منه المستعمرات في الأغلب لكن قد تزداد فيه العلاقات الكولونيالية الجديدة.[2]

أ. **ما بعد الكولونيالية** هي لغة مقاومة " التمثيلات الثقافية المتفاوتة والغير متكافئة المنخرطة في نزاع على السلطة السياسية والاجتماعية ضمن النظام العالمي الحديث، والمنظورات ما بعد الكولونيالية تنبثق من الشهادات الكولونيالية التي تقدمها بلدان العالم الثالث وخطابات (الأقليات) ضمن التقسيمات الجغرافية والسياسية إلى شرق وغرب، شمال وجنوب، وهي منظورات تتدخل في تلك الخطابات الإيديولوجية التي طلعت بها الحداثة.

ب . " إن مصطلح **ما بعد الكولونيالية** غالبا ما يتم تعريفه على نحو ضيق للغاية فالمصطلح ـ وعلى وفق الاشتقاق اللغوي الصارم ـ كثيرا ما يساء فهمه على أنه مفهوم زمني يشير إلى الفترة الزمنية التي أعقبت الاستقلال السياسي الذي تتحرر الدولة بموجبه

[1] هانز بيرتنز، النقد والنظرية مابعد الكولونيالية، تر عمرو زكرياء، مراجعة سيزا قاسم.ص322/321/320.

[2] نفسه، ص 322.

من حكم ما وتستبدله بحكومة.[1]

تغير دراسات ما بعد الكولونيالية حقلا معرفيا حديث النشأة نسبياً ويتم موضعتها ضمن حقول الدراسات الثقافية والتي تعتمد في تفحصها للنصوص والممارسات الثقافية المختلفة على فروع أكاديمية بحثية متعددة كالفلسفة وعلم الإجتماع والأنثربولوجيا والدراسات الإثنية والتاريخ، والنقد الأدبي، والتحليل النفسي وعلم السياسة.[2]

أما النقد ما بعد الكولونيالي يتمثل في الممارسات الكتابية التي تضع كل ما تقدمه النظرية الأوروبية من أسلوب واللغة وأنظمة المعرفة تحت المساءلة والشك والفحص الدقيق حيث إن الإستعمار الأوروبي في دفعة العالم الكولونيالي إلى هوامش تجربة المركز قد دفع الوعي إلى أبعد من الحد، الذي يمكن فيه قبول المركزية الأوروبية الأحادية في كل مجالات الفكر دون مساءلة أو شك التي أفلحت في البداية في تهميش العالم الكولونيالي، قد انقلبت على نفسها وراحت تدافع هذا العالم إلى مواقع يمكن النظر منه إلى كل تجربة على أنها متمركزة ومتنوعة وهجينة.[3]

الدراسات ما بعد الإستعمارية أو ما بعد الكولونيالية والمقصود بها الدراسات التي تبحث في العلاقات الثقافية بين الغرب بوصفه مستعمراً والدول المستَعمرة مع ما تتضمنه تلك الدراسات من تحليل للنصوص الأدبية وغيرها للكشف عن استراتيجياتها الخطابية.[4]

---

[1]. محمد كريم الساعدي، **الإشكالية الثقافية لخطاب ما بعد الكولونيالية (المسرح أنموذجا) جدلية الضد الثقافي لأفعال الكولونيالية الجديدة**. دار الفنون والآداب للطباعة والنشر والتوزيع' الطبعة الأولى 2016م،ص.21/20.

[2]. مجدي عز الدين، مجلة الإستغراب، نقد الكولونيالية من منظور ادوارد سعيد كلية الآداب جامعة البنين /الخرطوم. السودان 2018 ص249.

[3]. حنفاوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن منشورات الإختلاف، الجزائر ط2007،1 ص107.

[4] المرجع نفسه،ص74.

3/ النظرية ما بعد الاستعمارية:

يشير الى مرحلة من الهيمنة تسمى المرحلة الامبريالية أو الكولونيالية من هنا حلت ظروفا مختلفة تستدعي تحليلا من نوع معين. ولذا فإن المصطلحين يطلقان من وجهات نظر متعارضة فيما يتصل بقراءة التاريخ وإن كان ذلك اختلافاً في التفاصيل لا في الجوهر، انطلاقا من هنا يرى بعضهم انتهاء مرحلة الاستعمار التقليدي وبالتالي انتهاء الخطاب المتصل به وضرورة أن يتركز البحث في ملامح المرحلة التالية وهي مرحلة ما بعد الاستعمار، يرى بعضهم الآخر أن الخطاب الاستعماري ما يزال قائما وأن فرضية "المابعدية" لا مبرر لها.[1]

4/ التعريف الإجرائي:

أ- ما بعد الكولونيالية

حركة ثقافية، اجتماعية، سياسية ذات طابع (تاريخي . تحليلي) تقاوم وتشتبك مع كل الخطابات الثقافية الكولونيالية وبنيات القوة لديها، وتسعى إلى إبطال ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجالات من نتاج يعبر عن توجهات كولونيالية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب الجغرافي والثقافي والسياسي المسيطر على السلطة السياسية والاجتماعية ضمن النظام العالمي الجديد.[2]

ب-نقد الكولونيالية من منظور ادوارد سعيد:

من خلال الدراسات التي عنيت بنظرية مابعد الكولونيالية التي تبلورت خلال القرن الماضي نرى بأن ادوارد سعيد أحد أهم المنظرين لهذه النظرية وذلك من خلال مؤلفاته

---

[1]. ميجان الرويلي وسعد الباراغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط3، 2002 ص158.

[2]. محمد كريم الساعدي، المرجع السابق، ص21.

البارزة في الأعمال الأدبية نذكر منها (الاستشراق)1978 و(الثقافة والامبريالية)، اثبت فيها من خلالهم رؤيته الواعية وفكره المتقد الوجه الآخر للخطاب الكولونيالي، يظهر لنا من خلال مقدمته في كتابه (الاستشراق) تأثره بأفكار ميشال فوكو، حيث اعتمد عليه حول هذا المفهوم القائم على عدة معاني تستند على الهيمنة على الدول المستضعفة والتسلط عليها، يقول في مقدمته: "وقد انتفعت هنا بالفكرة التي طرحها ميشيل فوكو عن "الخطاب"، على نحو ما عرضها في كتابه **علم آثار المعرفة** وفي كتابه الآخر **التأديب والعقاب**، في تحديدي لمعنى الاستشراق. والحجة التي أطرحها تقول إننا ما لم نفحص الاستشراق باعتباره لونا من ألوان "الخطاب "فلن نتمكن مطلقا من تفهم المبحث البالغ الانتظام الذي مَكّن الثقافة الأوروبية من تدبير أمور الشرق".[1]

"ويعد كتاب (لاستشراق) لإدوارد سعيد بمثابة الكتاب التأسيسي لهذه النظرية، بسبب الأثر الكبير الذي خلفه في كل من أتى بعده من نقاد ما بعد الكولونيالية يفكك سعيد المقولة التي روجت لها المركزية الأوروبية، والتي مفادها أن الثقافة الأوربية هي محور التاريخ البشري كله، وأنه لكي تنجز الشعوب والأمم غير الأوروبية نهضتها فلا مناص لها من اعتناق المُثُل ذاتها ومنظومة القيم ذاتها التي أدت إلى تقدم الحضارة الغربية. عن طريق فرض هذا التمركز الأوروبي، كما يرى سعيد، استطاع الغرب الكولونيالي فرض هيمنته وسيطرته على بقاع بعيدة عنه كإفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية .هذه السطوة من جانب المركزية الأوروبية ما كان لها أن تتم إلا على حساب تهميش كل ما يقع خارج محيط دائرة الحضارة الأوروبية، وما أنتجته هذه الأخيرة من معارف ورؤى وتصورات وقيم للموضوع الكلي المركب من ثلاثية الإنسان والعالم والله.

[1]. إدوارد سعيد، الاستشراق، تر: محمد عناني، طبعة 1955 المزيدة، دار بنجوين العالمية 1995 رؤية للنشر والتوزيع 2006، ص 46.

وهكذا قام التسويغ العقلي للإمبريالية على ما يسمى (عبء الرجل الأبيض)، وعلى مهمة نشر الحضارة، واليوم أصبح يتمثل في ما يدعى (الحرب على الإرهاب) و(النضال من أجل الديمقراطية)، ويستشهد سعيد بما ورد في بعض خطابات الرؤساء المتعاقبين على رئاسة الولايات المتحدة الأميركية، من أنهم يقاتلون لأجل نصرة الخير في مقابل الشر، وأنهم لا يهدفون إلا لنشر القيم الديمقراطية، القيم الأميركية، في كل أنحاء العالم. والخلاصة أنهم لا يتحدثون أبداً عن الهدم والتدمير، ولكنهم يتحدثون في الحقيقة عن إهداء التنوير والحضارة والسلام والتقدم للناس.

ما سبق أدى في نظر سعيد إلى ما وصفه بـ (التشرنق العرقي الأوربي) الذي هو بمثابة بنية لاشعورية كامنة خلف طرائق البحث الغربي ومناهجه ضمن إطار التبعية.[1]

أسهم (الإستشراق)، وما نتج عنه من خطاب موجه الى الداخل الغربي في تثبيت تصورات في غالبيتها سلبية في الوعي الجمعي الغربي عن الشرق، وتحولت فيما بعد إلى تقييم يقيم من خلاله المواطن الغربي الشرق وشعوبه وهذا ما يؤكده (تيري هنتش) بأن "الأدوات الأساسية والتي يفضلها ينتقص الأوروبي العادي وبشكل غريزي من العربي المسلم جاءتنا من بعيد. إنها تستمد جذورها من الخطاب الحقود الذي قامت بإشاعته الكنيسة الكاثوليكية حول الهرطقة والشعوذة (المحمدية) اعتباراً من القرن الحادي عشر ودوام هذا الخطاب تحت أشكال مخففة نوعاً ما ليعود إلى الاشتداد في بعض المناسبات في هذا القرن[2].

ويضرب سعيد مثلاً بما قاله ماكولي عن التربية الهندية، عام 1835م في محضر اجتماع رسمي: « ليس لي أيّ معرفة لا بالسينسكريتية ولا بالعربية، ولكنني فعلت ما بوسعي لتكوين تقويم دقيق لقيمة كل منهما. لقد قرأت ترجمات لأشهر الأعمال العربية والسنسكريتية. ولقد تحادثت، هنا وفي الوطن، مع أناس متميزين بكفاءاتهم في اللغات الشرقية. بيد أنني

---

[1]. مجدي عز الدين حسن، مجلة الاستغراب، نقد الكولونيالية من منظور ادوارد سعيد، العدد 12،2018م/ 1439هـ.

[2]. محمد كريم الساعدي، المرجع السابق، ص28.

ما وجدت واحداً منهم بمقدوره أن يدحض حقيقة كون رف واحد من مكتبة أوربية جيدة يساوي كل الأدب المحلي للهند والجزيرة العربية. إن السمو الجوهري للأدب الغربي محط الإقرار التام فعلاً من قبل أولئك الأعضاء الذين يشكلون اللجنة والذين يدعمون الخطة الشرقية في التعليم. وليس من المبالغة أن نقول أن كل المعلومات التاريخية المجموعة في اللغة السنسكريتية أقل قيمة مما قد يوجد في تلك الملخصات المبتذلة والمستخدمة في المدارس الإعدادية في إنكلترا، وفي كل فرع من فروع الفلسفة الأخلاقية والمادية نجد أن المكان النسبي لهاتين الأمتين هو نفسه تقريباً».

ويعلق سعيد على ما قاله ماكولي، بقوله: «إن ذلك القول، في الواقع، لدليل على التشرنق العرقي، بل وأكثر من ذلك، لأن رأي ماكولي ما هو إلا تصور غارق في صميم التشرنق العرقي وذو نتائج مؤكدة. إذ أن ماكولي كان يتحدث من موقع السلطة حيث كان بوسعه ترجمة تصوراته إلى قرار يأمر سكان شبه قارة بأسرها أن يذعنوا للدراسة بلغة غير لغتهم الأم. وهذا ما حدث في حقيقة الأمر»[1].

إن تاريخ الفكر الغربي بأسره إبان القرن التاسع عشر، حسب ما يذهب سعيد، مليء بأمثال هذه التخرصات والتمييزات بين ما هو مناسب لهم (غير الأوروبيين)، إذ أن الأوائل مصنفون بأنهم في الداخل، في المكان الصحيح، مألوفون، منتمون، وباختصار فهم فوق، والمثانى مصنفون على أنهم في الخارج، ثنوى، شواذ، تُبع، وباختصار فهم تحت، فمن هذه التمييزات، التي حضيت بسطوتها من خلال الثقافة ما كان بوسع أي امرئ أن يتفلت منها حتى ماركس نفسه.[2]

هذا هو الوجه القبيح للكولونيالية الثقافية والفكرية، والذي قام سعيد بتعريته في مجمل كتاباته، وهو يرى أن الكولونيالية الثقافية نجحت في دمج منظور المستعمِر (بكسر الميم)

---

[1]. مجدي عز الدين المرجع السابق، ص 23

[2]. المرجع نفسه، ص 24.

في رؤى الشعوب المستعمَرة، حتى شعرت هذه الأخيرة بأنها غير قادرة على فعل أي شيء دون وصاية الأول ودعمه، وفهمت كذلك أن التشريع لا ينبغي أن يصدر من ثقافة وقيم مجتمعاتها، ولكن من مجتمع الأول وقيمه هو.

يدعي الغرب أن له القدرة على تمثيل نفسه فهو يمثل المجتمع المدني المتحضر بعكس الشرق الذي يمثل العجز عن تمثيل نفسه وبالتالي فهو بحاجة الى من يمثلهم.

"إن تمثيلات الشرق ليست مقتصرة على التواريخ، وتحليلات فقه اللغة، والرسائل السياسية فحسب، بل هي فعليا قائمة أيضا على النص التخيلي، نتتبع من هنا أنظمة التمثيل التي صاغت خطاب ما بعد الكولونيالية، إن جوهر التمثيل قائم في وعي الغربي؛ فالآخر ـ الشرق ـ لا يمتلك القدرة على تمثيل نفسه، ولهذا فإن الإنشاء الغربي بكل مستوياته قد تصدر لهذه المهمة، ليعيد رسم معالم الآخر، وهنا يبرز ادوارد سعيد عبارة كارل ماركس في مستهل كتابه الاستشراق، هذا العجز عن التمثيل يحمل في طياته الكثير من طبقات الهيمنة على الآخر، ويقوم هؤلاء المنظرين على تتبع تمثيلات المسيطر على المسيطر عليه." [1]

كما تجدر الإشارة إلى أن الخطاب النقدي ما بعد الكولونيالية رفض سلوك سبيل الأصولية الثقافية أو القومية أو الدينية، حيث تؤكد ما بعد الكولونيالية على هويتها الإنسانية الأوسع في طرحها لمفهوم التلاقح الثقافي الذي عبر عنه كمال أبو ديب مترجم كتاب ادوارد سعيد "الاستشراق" بمصطلح "الهجنة" ذلك المفهوم الرافض لمبدأ الهوية باعتباره مفهوماً قام بصناعته الغرب. ومن ثمة فلا يجدر بالثقافات الأخرى إستيراده وتبنيه من منطلق رد الفعل، إذن فوظيفة النظرية النقدية في مدارس مابعد الكولونيالية لا تقتصر فقط على دراسة الإطار الشكلاني للخطاب وقيمته النصية بل تتعدى ذلك إلى عوامل نشأته ومسبباته، وكذلك إعادة النظر في كل ما كتب إبان حقبة الحداثة، التي لم تكن إلا استعمارية ومثال ذلك ما تطرحه

[1]. رامي أبو شهاب. الرسيس والمخاتلة، المرجع السابق، ص 64. 65.

ما بعد الكولونيالية من ضرورة أن يتقبل العالم الغرب رواية المهاجرين واللاجئين الذين أتو إليه من المستعمرات السابقة على أنها رواية أصلية نبعت من داخل هوية الغرب القومية الحديثة، وتأكيداً على تقبل الغرب باندماج هذه الأقليات داخل بنيته الاجتماعية ومشاركتها في تشكل هويته القومية التعددية السابقة بعيون الشعوب المستضعفة التي تؤسس الآن لإعادة كتابة التاريخ من جديد ومن خلال مقولة الهوية أوجد أدباء ونقاد ما بعد الكولونيالية مفهوم موازي لها هو القومية، هذه الأخيرة التي نجد إدوارد سعيد رافضا لها بوصفها أساساً للهوية وعلى إعتبار أن القومية ذاتها هي فكرة أوروبية جاءت من أوروبا مع الاستعمار ثم ورثتها مجتمعات العالم الثالث مع ما ورثت من الاستعمار فأعاقت استقلالها الحقيقي وأدخلتها في أوهام وضلالات بعيدة.[1]

لقد حاول ادوارد سعيد أن يصور الشرق في مرآة الغرب ومخياله بتوصيفه شرقاً متخلفاً مغلوبا على أمره، رومانسيا وغير عقلاني، "أرض العرب هذه هي أرض المعجزات والنبوءات". هو شرق يعيش تحت الهيمنة الذكورية. تنبغي السيطرة عليه, فهو الشرق الأنثوي بامتياز مادام فهمه يرتكز على مفردات أنثورية بلا حقوق ولا قوانين ولا أمن، والمعنى الجلي هو هيمنة الغرب الخطابية والعملية على حد سواء، وذلك ما يتجلى بالخصوص أيضا عند الروائيين الفرنسيين أمثال فلوبير(1821-1880) ونرفال (1808-1855) ولامارتين (1790.1869) وشاتوبريان (1768.1848) وغيرهم، وهو الموقف الذي كثيرا ما غذى أحلام السيطرة والغزو والإستعمار، وولد مواقف الاستعلاء التي تأسست على نظرة تراتبية أو تفاضلية نرجسية وعمياء في التعامل مع الشعوب والقافات، وفي هذا السياق يندرج مفهوم هوية الشتات في مقابل هوية الموطن الأصلي.

[1]. طارق ثابت، هوية الأدب بين الحضور والغياب في خطاب النقدي العربي ما بعد الكولونيالي، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي كلية الأدب واللغات، مجلة الآخر، الجزائر ديسمبر 2014،ص107.

في هذا السياق نشير إلى أن هناك حالة من المشاركة أفرزها الإحتكاك بين المستعمَر والمستعمِر، وهو ما يتجلى بوضوح في حالة (فرنسا . الجزائر) و(بريطانيا . الهند)، وهو وضع من شأنه أن يستمر طويلا حتى بعد إحراز الإستقلال والتحرر من التبعية العسكرية، بخاصة وأن ملامح الشمولية للمشروع الإستعماري باتت واضحة بحيث شملت الثقافة، وراح المستعمِر يعمل على تحقير الآخر وتوصيفه بكل النعوت الممكنة من خلال تهميشه وإقصائه وتكريس واقع المركز الإمبريالي والهامش الكولونيالي، وهي كما نعلم صورة شوهاء مغرضة تعمل على تعزيز وضع التماهي والتوافق مع ثقافة الإستعمار باعتبارها الضريبة التي ينبغي الامتثال لها ودفعها ثمنا للترحيب بالأول داخل حظيرة الثاني. إنه واقع تحكمه حالتان مرضيتان، الأولى ذهان التفوق الذي أصيب به الغرب والثانية عُصاب الدونية الذي وقع المستعمَر في براثنه.[1]

حاول جوزيف كونغراد (قلب الظلام) أن يظهر مدى تمسكه وتشجيعه لفكرة الهيمنة للقارة الإفريقية واستنزاف ثرواتها، وكأي ممثل للاستشراق بدت ملامح سوء التمثيل: "إن فتح الأرض، الذي غالبا ما يعني انتزاعها من أولئك الذين لهم بشرة مختلفة عن بشرتنا أو أنوف أكثر تسطيحا بقليل من أنوفنا، ليس عملاً جميلاً حين نتأمله بإمعان. وليس ثمّة ما يشفع له ويمنحه الخلاص سوى الفكرة ذاتها: فكرة كامنة وراءه؛ لا ذريعة عاطفية بل فكرة؛ وإيمان لا تشوبه الأنانية بالفكرة ـ التي هي شيء بوسعك أن تقيمه نصباً، وتنحني أمامه مبجلا وتقدم له القرابين...".[2]

حاول سعيد أن يظهر نقدا وأدبا جديدا ظهر بإفريقيا وآسيا بعد الركود الذي دام لقرون على أن يخلقوا أدبا وتاريخا خاصا بهم وقد اعتمد السرد على نفس طريقة الغرب لكن برد

---

[1]. آمال علاوشيش . أستاذة محاضرة جامعة الجزائر (2)، قراءة ما بعد الكولونيالية، صفحة 5/4.

[2]. ادوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، الطبعة الرابعة 2014،دار الآداب للنشر والتوزيع، ساقية الجنزير . بناية بيهم ص.ب. 11 ـ 4123، بيروت لبنان، ص 55.

فعل المعارضة له، "كما يصبحون أيضا قراء ناقدين لسجل المحفوظات الغربي، ولقد انفتحت إمكانيات جديدة للتاريخ نتيجة لذلك، واكتُشِفت أشياء جديدة عن الأعمال العريقة للمكنون الشرائعي الغربي، الذي كان يفترض عادة أن علاقته بالامبريالية معدومة تماما".[1]

المبحث الثالث: حضور الجزائر في الكتابات الأوروبية

1- في الكتابات الأوروبية عن الجزائر (الألمان والإسبان)

حظيت الجزائر باهتمام ودراسة الكثير من الرحالة الأوروبيين، نظرا لأهميتها ومكانتها الدولية آنذاك بالإضافة الى موقعها الاستراتيجي، لقد خرجت الجزائر من طور الحقيقة الجغرافية الى الحيّز الثقافي؛ فخلف هؤلاء الرحالة مؤلفات تنوعت معلوماتها من تقارير ورسائل ومذكرات، جاء (فروجين فرومنتان) الرّحالة الفنان الرسام الى الجزائر، وزار الساحل والصحراء وذهب خصوصا الى بسكرة والأغواط، وأعجب بمضيق "القنطرة" وألّف بعد ذلك كتابه الشهير (صيف الصحراء).

أولا/ الجزائر في الكتابات الألمانية:

من أبرز الرّحالة الألمان الذين اهتموا وألفوا كتبا كثيرة عرّفتنا أشياء هامة عن المجتمع الجزائري وأحواله من خلال رحلاتهم التي قاموا بها في الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي من 1830م .1855م أهمهم:

1. فيلهلم شيمبرم (Wilhelm himbr1804:1878)

تعتبر شخصية شيمبر عجيبة حقا، وهو أخ العالم النباتي المشهور "كارل فريدريش" كان لـ "**فيلهلم**" إلمام كبير بعلم النبات ؛ قام الرّحالة شيمبر بعدّة رحلات في الجزائر ومصر

[1]. ادوارد سعيد، المرجع السابق، ص 11.

والجزيرة العربية، كانت زيارته للجزائر بعد مرور عشرة أشهر على إحتلالها من قبل الفرنسيين[1].

أ- من أهم مؤلفاته:

أصدر الرحالة شيمبر كتاباً صغير الحجم بعنوان ؛

"1830-wilhelm himbr reise in den jahren nach Algerien 1832"

أي: " رحلة فيلهلم شيمبر الى الجزائر في سنتي 1830م . 1832م" تم طبعه في مدينة شتوتغارت عام 1843م [2]، والذي أبدع فيه في وصف الجزائر العاصمة بعد عام من الاحتلال من الناحية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وأصدر كتابا آخر بعنوان "تاريخ احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين 1830م"، الذي نشره في يلمناو عام1832م.

ب - مميزات كتاباته:

من الملاحظ أنّ كتابات شيمبر على تاريخ الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي ذات طابع إنساني كشف من خلالها جرائم الاحتلال الفرنسي كما يكرر في نهاية كتابه الى دعوته الى احترام قوانين الجزائريين ومعتقداتهم، ليتمكن الأوروبيين من كسب ثقتهم والميل إليهم والاتحاد معهم باطنيا.

كما استمد معلوماته من بعض الجزائريين الذين كان في علاقة ودّية معهم، إضافة الى ذلك نجد أنه ما ميز كتاباته لتاريخ الجزائر ويحذرهم من الاختلاط بالأشرار فيها.[3]

2. جورج سيمون فريدك :1833. (George simon friedrichpfriffer) 1806

[1]. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830م .1855م، م وك، الجزائر،1989م، ص11.

[2]. أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص11.

[3]. عيسى شنوف، المرجع السابق، ص118.

ولد سيمون بفايفر يوم 9 سبتمبر 1806م بمدينة وومس بمقاطعة رايمنيس، وفقد والديه عندما بلغ السادسة من عمره، فكفله بعض أقاربه وأرسلوه الى المدرسة وفي سن الثالثة عشر شعر بالميل إلى فن الجراحة، كان يعيش وحيدا بعيدا عن إخوته، وهكذا فكر أن يغادر بلده، للبحث عن سعادته خارجها.

سافر بفايفر الى أمستردام وسنه لا يتجاوز الخمس عشرة سنة فاستقبله أحد من معارفه، وأرسله الى أمير البحر فأدخله الى مدرسة بحرية راسية دائماّ وهي نوع من الثكنات البحرية ليتعوّد على حيلة البحر، وفي عام 1825م خرج بفايفر مع عدد من رجال الانكشارية، التي عاملتهم بالسوء كادت أن تتركهم عراة، وقتلت واحدا من رفاق بفايفر ؛ بعد محاولته طعن انكشاري. أمّا بفايفر فقد أصيب بجر سيف تركي [1]،حيث أسره رجال الإنكشارية مع رفاقه ونقلوه الى أزمير، أضافوا إليه عدداً من العبيد اليونان، ونقلوه الى أزمير وبعدها الى الجزائر على متن سفينة شراعية حربية يقودها انجليزي يسمى عمر، لم يشر الى حياته السابقة على الإطلاق، ولكن معاملته مع بفايفر تدل على أنّه كان ذا نية حسنة.

يبدو بفايفر أنّه كان يتّسم بالإنسانية من خلال معاملته لذاك القائد الانجليزي [2]،كانت مدّة الرحلة من أزمير الى الجزائر 25 يوماً، وبعدها وصل بفايفر الى الجزائر وجد نفسه يمارس مهنة الطبخ في بيت خزناجي[3] الجزائر بدل الطب الذي يعد مهنته الأصلية ؛ بعدها صار طبيباً لهذا الخزناجي وتجاوزت مهامه الطبيّة القصر الى الثكنات العسكرية أثناء الاحتلال وبقى في هذا المنصب الى أن أطلق سراحه[4] كان بفايفر يعالج الجرحى الأتراك

[1]سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر؛ أبو العيد دودو، د ط، ش ون ت، الجزائر،1947،ص5.

[2]. المصدر نفسه، ص8.

[3]مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم خلال الحكم العثماني 1518م . 1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة) جامعة تقرت 2013،ص419.

[4]. أحميدة عميراوي، المرجع السابق،ص14.

والأهالي سنة 1830م، وهو الوحيد الذي كان يعالجهم [1]، وقبل دخول الفرنسيين بأسبوعين تولى منصب خزندار [2] لباي التيطري، لكن لم يستمر في منصبه وقرر التخلي عنه، دامت مدة أسره في الجزائر خمس سنوات. وفي 16 سبتمبر 1830م عاد الى بلده ألمانيا وعاد الى ممارسة فن الجراحة.

أ ـ أهم مؤلفاته:

بعد المدة التي قضاها بفايفر في الجزائر وبعد عودته الى بلاده ألمانيا كتب عن الجزائر، وأهم ما كتبه برايفر نذكر ما يلي:

"meine resen und meine fuenfjae hrige gefangens algier"

أي رحلاتي وسنواتي أسري الخمس في الجزائر، وهي عبارة عن مذكرات كتبها ونشرها عام 1832م بمدينة (جيسن)، وفي كتابه هذا يتناول فيه ملاحظاته ومشاهداته حول الجزائر بداية الاستعمار الفرنسي [3]،والتي ترجمت الى العربية سنة 1968م، من قبل المؤلف أبو العيد دودو، وقد صدرت طبعتها الأولى "مذكرات جزائرية عشية الاحتلال" عام 1975م [4]، وهي عبارة عن ملحق أصدره بمدينة (جيسن) سنة 1833م[5].

ب ـ مميزات كتاباته:

---

[1]. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال،ط1، ش ون ت، الجزائر،1982م. ص169.

[2]. هو أمين الخزانة، وكان يطلق في الغالب على القائم بالحفاظ على أموال كبار رجالاتالدولة، أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،م م،م ف و، السلسلة الثالثة، 43، الرياض، 2000،ص98.

[3]. سيمون بفايفر، المصدر السابق،ص6.

[4]. عيسى شنوف، المرجع السابق، ص118.

[5]. أ.ف شونبيرغ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال،تر ؛ دودو، مج 1، ط خ، د الأمة، الجزائر،2009.ص3.

يعتبر سيمون برايفر هو الألماني الوحيد الذي اعتمد على تجاربه الشخصية وعلى ما سمعه من أفواه الجزائريين، وتعتبر هذه التحفظات التي أبداها بفايفر إزاء الروايات الجزائرية دليلا على صدقه ونزاهته وتتصف كتاباته بأنها تمتاز بالبساطة والصدق [1].

3/ يورغن يوهان البر يخت فون شونبيرغ1827م - 1841م:(Adolf Von Schonberg)

ولد الطبيب الدانمركي الشهير يورغن يوهان البريخت فون شونبيرغ في 17 سبتمبر 1728م، بجزيرة سيلاند، تخرّج من جامعة غونتينهن بألمانيا، وبعد أن طاف بعض الدول الأوروبية استقر به عام 1811م في مدينة نابلي وعين رئيسا لأطباء المستشفى النّمساوي [2]، في سنة 1829م عاد شونبيرغ الى بلاده "كوبنهاجن" وفي السنة التي تحصل فيها على الدكتوراه الفخرية من جامعة فونسبورغ الألمانية،وعلى أساس الدّعوة التي وجهت إليه عام 1830م، حيث انه شارك في الحملة الفرنسية، ضد الجزائر بصفته طبيبا عسكريا وعمل في صف الاحتلال الفرنسي، أثناء عودته الى وطنه عين طبيبا للبلاط الملكي ثم أصبح المستشار الأول لملك الدانمرك، وفي 16 أكتوبر 1841م وفاه أجله بمدينة كوبنهاجن وتاركا وراءه تراثاً فكرياً متنوعاً[3].

أ ـ أهم مؤلفاته:

قد خصّ شونبيرغ الجزائر بكتابين هما:

نظرات الاحتلال الأخير للجزائر وتاريخها واستعمارها الحديث، صدر بألمانيا بكوبنهاجن، وقام بنشره عام 1839م، ففي الفصل الأول من الكتاب سجلت فيه اليوميات التي كتبها في الميدان، أما في الفصل الثاني تحدث فيه عن ثمانية من دايات الجزائر

---

[1]. نفسه، ص 31.

[2]. أ ف شونبيرغ، المصدر السابق، ص04.

[3]. عيسى شنوف، المرجع السابق، ص119.

1798م . 1805م، ابتداءً من الدّاي مصطفى الى حسين باشا وفي مقدمة الكتاب كتب عن تاريخهم، "الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال"، الذي ألّفه وقام بنشره عام 1837م، والذي قدّم فيه موجز عن الجزائر من الناحية الطبيعية، وكان له فوق ذلك إنتاج شعري أدبي بشكل عام حيث عبر في شعره الذي استوحاه من طبيعة الجزائر والأحداث التي شارك فيها أثناء الاحتلال الفرنسي.[1]

ب ـ مميزات كتاباته:

قد تميزت كتاباته بالتنوع اللغوي حيث كتب بعدّة لغات من غير الألمانية كالايطالية والدانماركية، تميزت ترجماته باليسر والسهولة وكان له تنوع من حيث كتاباته للموضوعات، فكتب عن موضوعات أخرى بعيدة عن اختصاصه مثل السِيَر والتراجم والاقتصاد وغيرها.

استعمل شونبيرغ مصادر لم يحدد طبيعتها في كتاباته، وفي حديثه عن مناخ الجزائر والحركة التجارية في الجزائر، اعتمد مصادر فرنسية بحتة من ضمنها بعض التقارير الرسميّة والوثائق.[2]

4/ فندلين شلوصر(venrtin hlusr):

تعتبر حياة شلوصر محدودة حسب ما ورد عنه وأورده عن نفسه في كتابه ؛ ولد شلوصر في مدينةايرفوت بألمانيا بين أسرة فقيرة، تخلى عن دراساته بسبب ظروف عائلية، والتحق بأحد معامل المنجمة ولم يوفّق في عملِه فانتقل الى منطقة هارتس المعروفة بمناجمها العديدة ولم يوفق في عمله هذا أيضا، وبعدها ارتحل الى البرازيل للبحث عن العمل في المناجم من قبل شخص انجليزي تعرّف عليه في العمل. [3]

---

[1]. عميراوي، المرجع السابق، ص14.

[2]. بورايو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، در ماجستير في الأدب، شعبة أدب الرحلات، مرقونة، حمادي عبد الله، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007 . 2008م،ص155.

[3]. عميراوي حميدة، صورة الجزائر قبل 1830م في مصادر أوروبية، جريدة الفجر يومية جزائرية الجزائر، نص.

غير أنّه ندم على ترك بلاده وعاد إليها لتستبد به الرغبة للقيام بمغامرة جديدة، فتوجّه الى فرقة أجنبية تحت أوامر القائد الفرنسي، وفي شهر جويلية 1831م، أبحر شلوصر مع هذه الفرقة الى الجزائر، وبقى في العاصمة بضعة أشهر الى أن وقع مع عدد من رفاقه في أيدي المقاومة الجزائرية.[1]وانتهى به المطاف أسيرا في قصر الحاج أحمد باي وعاد الى بلاده بعد احتلال قسنطينة مباشرة [2]، وتعتبر ثقافته محدودة ليس بعالم لم تسمح له لا بوصف الآثار التاريخية، ولا بقراءة النقوش الرومانية وغيرها[3].

أ ـ أهم مؤلفاته:

ومن أهم ما ألّفه الألماني شلوصر بعد عودته الى بلاده نجد ؛

" Constantine Tage Ahmed bey 1832 1837"

ـ "قسنطينة أيّام أحمد باي 1832م . 1837م" أصدره سنة 1839م.[4]

قسم كتابه هذا الى قسمين:

. الجزء الأول: خاص برحلة شلوصر الى البرازيل وحياته فيها.

. الجزء الثاني: الذي ترجمه أبو العيد دودو الخاص بالحديث عن الجزائر وعنوانه "الجزائر 1831 . 1837". وعمد المترجم الى تغيير العنوان حتى يكون في منظوره أكثر دلالة وموضوعه أكثر وضوحاً.[5]

---

[1]. أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص6.

[2]. أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص72.

[3]. عيسى شنوف، المرجع السابق، ص72.

[4]. أبو العيد دودو، المصدر السابق،ص8.

[5]. عيسى شنوف، المرجع السابق، ص72.

ب ـ مميزات كتاباتـه:

تميزت كتابه الصادر سنة 1839م صدر بأبيات شعرية، كما يذكر في مقدّمة كتابه أنه واحد من أهالي الجزائر، وتحدث عن الجزائر بصورة أمينة وبكل مصداقية واتهم الصحافة الفرنسية بأنها غير صادقة بما نشرته عنه إضافة الى ذلك تميز كتابه بتقديم معلومات كثيرة ومتنوعة في حديثه عن عدة شخصيات لعبت دورا تاريخيا هاماً.[1]

5/ دينيزن (Dinizin):

تعتبر حياة دينيزن هي الأخرى محدودة فلا يذكر عن حياته إلا القليل في كتاباته، ويبدو من خلال اسمه أنه ينحدر من أسرة دانيماركية عريقة، وفي عام 1837م كان مقيما بالجزائر وكانت مدّة إقامته غير محدودة من خلال ما ذكره عن نفسه، أما الفترة الزّمنية التي تكلم فيها عن الجزائر تمتد من 10 يناير 1839م على التقريب، إضافة الى ذلك ؛ يبدو دينيزن شاهد عيان وحصوله على الوسام الشرفي الفرنسي على غرار الكثير من الأوروبيين الذين شاركوا في الحملة ضد الجزائر تطوعا أو بدعوة من الحكومة الفرنسية آنذاك، ويعتبر من الذين شاركوا في العمليات العسكرية على نحو من الأنحاء، وكانت له صله بأصحاب القرار من العسكريين والقادة وغيرهم من جهة أخرى.

أ ـ أهم مؤلفاته:

لقد ألّف دينيزن هو الأخر كتابا يتكلم فيه عن صورة الجزائر العاصمة في بداية الاحتلال الفرنسي، والسبب الذي جعله يضع كتابا عن الجزائر في تلك الفترة هو نشأة الحس الوطني في الجزائر التي أخذتها الغفوة كما يقول في مقدمة كتابه عدّة قرون.[2]

الذي يحمل عنوان: "عبد القادر والعلاقات بين الفرنسيين والعرب في إفريقيا الشمالية "

---

[1]. أبو العيد دودو، المصدر السابق، ص8.

[2]. عيسى شنوف، المرجع السابق، ص74.

وقد ترجمت الى الألمانية فون كليلتنس، ونشره في برلين عام 1840م.

ب ـ مميزات كتاباته:ومن أهم ما ميز كتاباته أثناء حديثه عن صورة الجزائر في بداية الاحتلال الفرنسي ما يلي:

لم ينسب أي شيء الى نفسه أثناء روايته للأحداث التي شاهدها شخصيا أو انتقاها من مصادر معينة، واحتوت كتبه على عدّة وثائق، ويعتبر أول كتاب دينيزن أول كتاب أوروبي مبني على الروح الوطنية التي كانت في طور التكوين والنمو حسب وصفه لها.

كانت كتبه بمثابة تقرير على نحو ما قصد تقديمه الى جهة ما في بلاده، وقام بنشره لتعم الفائدة، خاصة أن احتلال الجزائر كان محط أنظار العالم كله في تلك الفترة. ومن خلال ما كتبه دينيزن عن الجزائر يعتبر الوحيد من الأوروبيين الذين كتبوا عن الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي الذي أنصف الجزائريين ولم يصفهم بالوحشية، عكس بما تعود عليه معظم الذين تصدّوا للكتابة عنه[1].

6/ هاينريش فون مالتسان1826م . 1874م:(Haaneryh vunmalsan)

ولد هاينريش فون مالتسلن في مدينة دريسدن، يوم 6 سبتمبر1826م، درس الحقوق واللغات الشرقية وأكمل دراسته الجامعية 1950م، اشتغل في وظيفة حكومية ولكنه لم يلبث فيها طويلا يعد أحد أهم الذين نظروا الى الواقع الجزائري أثناء الاحتلال الفرنسي بنوع من

[1]. أ.ف دينزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، مج 2، طخ دار الأمة، الجزائر، 2009، ص3ص4.

الدّقة والحياد، وواصل رحلاته في تونس وليبيا وسردينيا ؛ وافته المنية عام 1874م بعد معاناة مريرة مع مرض الأعصاب[1].

أ ـ من أهم مؤلفاته:

. innordafrika dreijahre أي:"ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا" الذي يتكون من أربع أجزاء،ثلاثة خاصة بوصف الجزائر وضواحيها، والرابع خاص بالغرب نشر كتابه هذا سنة 1863م[2].

" أي: "مدخنوا الحشيش في الجزائر"Haschisch raucher in algérien-"

صدر عام 1969موالذي تناول فيه الجوانب النفسية والاجتماعية التي أسهمت في انحرافات فئة من الشباب في فترة من الاحتلال الفرنسي.

الى جانب هذان الكتابان نجد كتب أخرى ألّفها من خلال رحلاته الكثيرة عبر البلدان الأوروبية وشمال إفريقيا والى دول المشرق[3].

إضافة إلى هؤلاء الرحالة الألمان الذين اهتموا بتاريخ الجزائر 1830م 1855م، نجد رحالة آخرين أيضا اهتموا بتاريخ الجزائر وكتبوا عنها إبان هذه الفترة، أثناء دراستنا من خلال ترجمات أبو العيد دودو نجد رحالة آخرين نذكر منهم ما يلي:

7/ فرديناند فيكلمان):Ferdinand venkelman (

يعتبر هو الآخر الذي وضع كتيبا عن الجزائر بعنوان:

---

[1]. دينزين، المصدر السابق، ص3 ص4.

[2]. هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، تر: أبو العيد دودو،ج1، 2 3، مج، 2ط ح، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص5 ص8.

[3]. عبد الله حمودي، المرجع السابق، ص15.

Die geschichte der besetzung von algérien aus franzosisch staatsangehorienومعناه بالعربية " تاريخ احتلال الجائر من طرف الجزائريين"،والذي نشره1830 bis zum jahr

بمدينة غليمناو عام 1832م، والذي أصدر كتابه هذا على سيمون بفايفر وعلى مصادر فرنسية متنوعة حيث تناول في كتابه نبذة تاريخية عن الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي وعن الظروف التي تم فيها الاستيلاء، ويعتبر من الرّحالة الذين سحرتهم الطبيعة الجزائرية، باعتبارها مستعمرة رائعة بالنسبة للألمان، فهو لا يهتم كثيراً بالجانب التاريخي قدر ما يهتم بالجانب الجغرافي[1].

8/ هرمان هاوف (Herman haov):

" أي: " الجزائر كما هي"Algerien ist auchالذي أصدر كتاب صغير الحجم بعنوان " الذي طبع في مدينة شتوتغاريت عام1830م، حيث تناول كتابه معلومات عامة عن الجزائر، من الناحية الجغرافية والطبيعة والمعمارية.

9/ موريتس فاغنر)1813م -1887م:Moritz Wagner(

هو عالم طبيعي ورحّال ألماني حيث أنه التحق بوظيفة تجارية في مدينة مرسيليا والتي مكّنته من القيام بزيارة قصيرة للجزائر سنة 1835م، وزار الجزائر مرّة أخرى 1836م كمراقب وجامع للأشياء الطبيعية، بكونه شارك في حملة قسنطينة والبليدة ورغاية، وضع موريتس فاغنر كتابا عن الجزائر بعنوان:

"Algerien in den jahren 1838 1836 ausfluge in den zustand von"

"والذي صدر في مدينة لايت بسينغ سنة1841م، والذي تناول فيه ثلاثة أجزاء:

[1]. عيسى شنوف، المرجع السابق، ص118.

الجزء الأول: وصف مدينة الجزائر والمدن الأخرى التي شاهدها.

الجزء الثاني: تناول فيه تاريخ الاحتلال والمعارك التي حضرها.

الجزء الثالث: خص به الحديث عن مجموعة من الحيوانات الجزائرية.[1]

ثانيا: لجزائر في كتابات الإسبان:

الى اللاهوتي الأسير Jaun betera Benesتجمع كل المصادر الأوروبية ابتداء من الدكتور أنطونيو، والكاتب الاسباني الشهير ميقال ذي قرفنتش مؤلف كتاب الدونكخواصي الشهير وذلك عام 1577م، أما الدكتور صوصا قدم وثيقة هامّة وصف فيها الجزائر آنذاك مرورا من هؤلاء الى غاية الأستاذ جاك بيرك.

إن كتاب الأسير الاسباني الدّكتور صوصا "طبوغرافيا وتاريخ الجزائر العام"،يعتبر من الوثائق النادرة والهامة التي ترتبط بالجزائر عاصمة وشعباً، وهو محطة للأسرى المسيحيين ومركزاً هاماً من مراكز القرار العثماني التركي، وكذلك مركزا متميزا للقراصنة الانكشارية، فلهذا الكتاب أهمية لأسباب عدّة في مقدمتها أن صاحب هذا التأليف من المستنيرين القلائل الذين استضافتهم سجون الجزائر شانه في ذلك شان غيره من المشاهير الكتّاب الإسبان من امثال ميقال ذي قرفنتش.

لهذا فشهادة هؤلاء تعد وثائق تاريخية، لأنها صادرة عم شخص واع عيان وعن طرف معاد أو أجنبي قد تقع عينه على ما لا تقع عليه أعين الأهالي، كتاب صوصا ثم نشره أول مرة في مدينة بلد الوليد في شهر جوان عام 1612م، وصاحب الكتاب كان قد تعرض للأسر من طرف رياس البحر الجزائريين وذلك في شهر ابريل عام 1577م.[2]

---

[1]. أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص27.

[2]. عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص18.

وكان رفقة الدكتور صوصا أحد فرسان مالطا الصليبي الكاتب البرتغالي الشهير)، الذي تعرف على فيرفانتش أيام أسرهما بالجزائر، وصوصا من خلال كتابه Luis de Sousa(يعدد لنا وجود اثنتين وستين (62) شخصية مثقفة مابين رجل دين الى عالم في الإنسانيات[1].

كتاب صوصا جاء مزيجا من المعلومات التاريخية والأدبية وهو يتشكل من جزأين:

. الجزء الأول: يغلب عليه الطابع التاريخي القصصي، وينقسم الى بابين كبيرين باب خصّصته لتاريخ حكّام الجزائر العثمانيين الأتراك، وباب خصاصه لوصف مدينة الجزائر العاصمة الإفريقية ؛ أما "الجزء الثاني" فيغلب عليه الطابع الأدبي حيث تعرض فيه المؤلف بطريقة حوارية الى الكيفية التي كانت تمر بها حياة الأسرى المسيحيين[2].

(أن أساس الحقائق الواردة فيه Don Ignacio Benery Landeurهناك اعتبر مقدم هذا الكتاب)

تعود الى شهادات حيّة، سجلها الدّكتور صوصا من أفواه بعض الأسرى كما أنّه يذكر بأنه لم يعتمد الرواية الشفوية فقط، بل اعتمد بعض المصادر التاريخية المعروفة كوصف إفريقيا لليون الإفريقي، ومصادر أخرى قديمة كألواح بطليموس، وكذلك التاريخ الطبيعي لبلين، كل هذه المصادر أعانته على تحديد المواقع الجغرافيةEstragon، وجغرافية استربون plinioالطبيعية والساحلية للجزائر منذ عهد الرومان [3].

---

[1] Adrien berbugger: le pegnon d'Alger ou les origines du gouverment ture en algerie A. Bourget, Alger 1860.

[2] Rinin (colonel): **El penon de Argel société se Geographie** Alger. 1902. Henri de Grammon La Course rev. Hisl.paris.1885.P4.5. .

[3] Pierre mesnard: **Charles Quint et les Barbaresques B.Hisp T.L.X.I n 2_3 Bardeaux , 1959 P 220**..

. أنطونيو دي صوصا، وطيوغرافيا الجزائر " أنموذجا":

. الفصل الأول: يروح الدكتور صوصا ذاكرا تاريخ الجزائر الرومانية، معتمدا في ذلك المؤرخ الروماني Aula gelio .

. الفصل الثاني: فيعرف الدكتور صوصا الحكم الإسلامي وكيف تعرضت إفريقيا من جرائه حسب رأيه الى العديد من الخسائر، وكذلك اسبانيا؛ ويفكر أنه في ذلك الوقت أخذت الجزائر تسميتها الحالية الدّالة على صيغة الجمع لجزيرة.

. الفصل الثالث: فيقص الكيفية والظروف التي أحاطت بالجزائر لتقع تحت حكم مملكة تلمسان.

. الفصل الرابع: فيذكر فيه كيف وقعت الجزائر تحت الايالة العثمانية التركية، وفي هذا الفصل يتعرض صوصا لحادث اغتيال الشيخ سليم تومي ويؤكد على أنه ثم على يد عروج ثم يواصل سرده لتاريخ ديانات الجزائر.

. الفصل الخامس: وصف فيه الدكتور صوصا الجزائر كقلعة من الداخل، مدققا في تعداد المراكز الأمنية لرجال السلطة وبيوت الصناعات الحربية والبحرية، وكل أنواع المواقع الدفاعية التي تتحصّن بها المدينة، فيصف موقعها الجغرافي الذي يشبه بقوس منجنيق، حيث ظهر المدينة يمثل القوس وهو يتكئ على هضبة وعرة المسالك يتدرج Arco de ballesta علوها الى أن يتحول الى مكان شاهق منيع، أما واجهتها البحرية فهي محصنة بسور عالي بُني بالأجر والجص، وطول دورته يزيد عن ألف وثمانمائة قدم، يبلغ طول مجموع سورها المحيط بها ثلاثة آلاف وأربعمائة قدم (3400).

. الفصل السادس الى العاشر: فيأتي التّعداد المطول والدقيق لكل منافذ الجزائر وبواباتها التسع، وكذلك محارسها المتمثلة في أبراج ، ثم يصف الخندق القديم الحامي الجزائر؛ والذي

يبلغ عرضه سبع عشر قدما، مع ذكره للمدافع المنصوبة في كل ركن وبرج من أبراج المراقبة سواء عن قرب أو بعد.

على سبيل المثال بعض المواقع الهشة الذي يسهل اقتحامها دون عناء كإقامة الرايس على التي يصفها بأن سهلة المنال، ولو اقتحمها المسيحيون لأدركوها[1].

في مكان آخر نجده يشير وكأنه يحاول إزالة الهلع على بني جلدته، في كون أنّ هذه المدينة بدت محصنة ومنيعة، فإنها لا تخلو من نقاط ضعف فتوجد بها بعض المواقع الهشّة التي يمكن نسفها بسهولة لو تستخدم المتفجرات مثلا، لأن مادّة بناءها كما يؤكد ليّنة وسهلة للتّهديم والاختراق، ثم لا تخلو من العديد من الإنفاق المنتشرة بحدائقها والمواصلة الى وسطها.

. الفصل الحادي عشر: ابتداء من هذا الفصل، أغلب وصف الدكتور صوصا لمدينة الجزائر نجده بنصّب على الحياة الاجتماعية وعلى عادات سكانها، والملفات للانتباه هو تعدّد النوعيات العرقية والدينية غير المتجانسة والقاطنة كلّها في هذه المدينة، التي تحولت حسب رأي صوصا الى مايشبه برج بابل تاريخيا، وهنا نجده يتّفق مع رفيقه الكاتب الشّهير "تيرفانتس" الذي يؤكد هو بدوره في مؤلفاته التي تتحدث عن الجزائر عن مثل هذا الخليط العرقي واللغوي، وأنّ الجميع توصل الى تفاهم فيما بينهم دون أن يفرض طرف على الآخرين لغته [2].

كما يضيف أنّ من خاصيات مدينة القراصنة هذه هي أن كل شيء يباع فيها ويشترى بسهولة، وهي شهادات تعاضدها شهادات الدكتور صوصا وبعض الأسرى الآخرين.

---

[1]. عبد الله حمادي، المرجع السابق،ص19.

[2]. عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص20.

الدكتور **صوصا**، يؤكد على تحديد النوعيات العرقية المتعايشة في هذه المدينة البحرية فيقول أنّهم بصفة عامة عرب وأتراك ويهود بغض النظر عن المسيحيين المتكاثرين من مختلف الجنسيات والذي يوجد أغلبهم تحت الأرض ضمن الأسرى[1].

قد تم تحديد عدد هذه النوعية التي تشكل الى حدّ ما الحياة الباطنية لهذه المدينة فقال أنّ عددهم يبلغ تقريبا حوالي خمس وعشرين ألف أسير يضاف إليهم التّجار الوافدون من بقاع مختلفة والتي تعتبر إقامتهم بهذه المدينة غير قارّة.

لما يتعرض الدكتور **صوصا** في مؤلفه الى تحديد أكثر لنوعية سكان مدينة الجزائر فإننا نجده يقسّمهم الى أربعة أصناف: الصنف الأول هو صنف الأهالي الأصليين أو البلديين ؛ والنص الثاني هم القبائل أو البرابرة النازحين الى المدينة من الجبال ؛ والصنف الثالث هم العرب أو البدو النازحين من الصّحاري، وأما الصنف الرابع فهم الموريسكيون الوافدون من غرناطة وأرغوان، وبالنسية وقطلونيا، يذكر هذه الطائفة النازحة من الأندلس المنهزمة، يصنفها الى قسمين فقسم يقال له المدنجون من مناطق الأندلس كغرناطة وما جاورها، والآخرون معظمهم من مناطق شمالية وتغلب على سيماهم الشقرة وطول القامة فيقول مثلا، أولئك الذين ولدوا بإسبانيا أو قدموا من هناك ويلبس هؤلاء النازحين من الأندلس والأتراك، ويوجد منهم في مدينة الجزائر قرابة ألف بيت. في حين نجد المؤلف لمّا يتعرض للجالية المسيحية التي اعتنقت الإسلام بإرادتها، يحدد لنا بعض مواصفاتها الدقيقة والهامّة،وهي متعلقة بالكيفية التي تتم بها مراسيم استقبال مثل هذه النّوعية داخل الجماعات الإسلامية.

[1]. عبد الله حمادي ن المرجع السابق،ص24.

أما الفصول الأخرى الى غاية النهاية: فإن الدكتور صوصا يخصّصها لوصف الحياة العسكرية، كحياة القادة الانكشارية والقراصنة والصبائحية الذين هم من أصل تركي ولهم الحرية في التملّك والميراث ويسهرون على حراسة الدايات [1].

[1]. عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص26.

الفصل الثاني:صورة الجزائر في كتاب "نصوص عن الجزائر في فلسفة الإحتلالوالإستيطان"

المبحث الأول: كتابات دوتوكفيل عن الجزائر (نصوص عن الجزائر)

المبحث الثاني: صورة الجزائر في كتاب (نصوص عن الجزائر)

المبحث الثالث: الرد على صورة الجزائر عند دوتوكفيل

الفصل الثاني: صورة الجزائر في كتابه"نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان".

درسنا في فصلنا الأول مفهوم الخطاب الكولونيالي وعربنا على أهدافه، ثم دَلَفنا إلى مفاهيم ما بعد الكولونيالية، وسنقوم في هذا الفصل ببيان كيف تجلت صورة الجزائر في كتابه المختار للدراسة، وسنحاول الرد على هذه الصورة انطلاقًا ممّا توفّره النظرية ما بعد الكولونيالية من آليات تحليل وقراءة ونقض للخطاب الكولونيالي.

المبحث الأول: كتابات دوتوكفيل عن الجزائر في كتابه"نصوص عن الجزائر":

بعد سقوط الدولة الجزائرية سنة 1830، على يد الاحتلال الفرنسي، اعتمدت فرنسا اثر ذلك على النخبة العلمية لتسهيل عملية الغزو، تمثلت في طرح خطاب كولونيالي مبني على فكرة نشر المسيحية والتحضر والتمدن وغيرها من الأساليب.

لذا لا بد لنا، أن نستعيد أدبيات هذه الفترة مما كتبه الغربيون عنّا وعن كيفيات التعامل معنا؛ خصوصا منهم السياسيون وقادة الجيوش والمستشارون، والمؤرخين والباحثين والأدباء والرسامين والمغامرين... فيما عرف سابقا بالاستشراق، وفي هذا الإطار نقترح النصوص الموالية ل **أليكسي دوتوكفيل**، التي كتبها عن الجزائر في بدايات غزو فرنسا لها واحتلالها فيما بعد. شرح فيها نظرته للغزو وكيفية الاحتلال وتوطيد القدم في البلاد بالاستيطان.[1]

. أولا وقبل كل شيء لا بد لنا أن نتعرف على هذه الشخصية البارزة التي لعبت دورا مهما في عملية غزو الجزائر والسيطرة عليها.

أليكسي دوتوكفيل(1859 - 1805) الذي يعتبر أحد أهم المنظرين والمفكرين السياسيين الذين عرفتهم فرنسا في القرن 19، من خلال مؤلفاته العديدة والمتنوعة. تأثر بالمدارس

[1] أليكسي دو توكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر: إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية2008، ص 6 ص 7.

الفكرية السائدة يومئذ في فرنسا وأوروبا والتي تصب جميعها في بوتقة التفوق الأوروبي المسيحي على بقية أنحاء العالم وضرورة تفكيك الدولة العثمانية وتصفية ممتلكاتها في أوروبا وهو ما اصطلح على تسميته أوروبا "**بالمسألة الشرقية**، واعتبار الجزائر جزءا من الدولة العثمانية.[1]

من النصوص التاريخية المهمة المتعلقة بتاريخ الجزائر الحديث هو ما دونه الكاتب الفرنسي والليبرالي والبرلماني أليكسي دوتوكفيل من خلال محاولاته التنظيرية وما كتبه عن الجزائر وتدوين يومياته التي كتبها بعد قدومه إلى الجزائر عام 1841 و1846 وسوف نركز هنا على ثلاث وثائق أساسية متكاملة، هي مجمل ما كتبه دوتوكفيل عن الجزائر وهي:

1. الوثيقة الأولى: "عمل عن الجزائر: 1837"

نشرها في جريدة La Presse de Seine et Oise، سنة 1837م، هي رسالة مفتوحة تندرج في سياق حملته الانتخابية إثر ترشّحه للانتخابات النيابية في السنة نفسها.[2] وبالتالي فإن هذه الرسالة هي مساهمة دوتوكفيل في النقاش السياسي الدائر يومئذ في فرنسا وفي الوقت نفسه نصًا دعائيا كان الغرض منه إظهار معرفته الدقيقة بالشأن الجزائري وسعة إطلاعه عليه. علما أن هذه الرسالة قد سبقها رسالة أولى لخّص فيها توكفيل مراحل التاريخ الجزائري.[3]

---

[1]. رزيق محمد، المثقف والسلطة (أليكسي دوتوكفيل وشرعنته للسيطرة والاستيطان في الجزائر من خلال ثلاثة وثائق)، العدد 9 . جوان 2014، كلية العلوم السياسية ـ جامعة الجزائر3،ص75/74.

[2]أليكسي دوتوكفيل، المصدر السابق، ص 9.

[3]. د. رزيق محمد، المصدر نفسه، ص 76.

علّق فيها توكفيل على طباع العرب والبربر من منظوره وذكر فيها المدن التي زارها، وهي وهران والمرسى الكبير وأرزيو وشرشال وبجاية وجيجل وسكيكدة، إضافة إلى مدينة الجزائر التي وقف فيها على معهد الدراسات الإسلامية.[1]

أ- ومن أهم الأفكار التي وردت في رسالته الثانية عن الجزائر عام 1837 هي:

نزع الملكية من الأهالي:

بعدما استطاعت فرنسا دخول للجزائر أول ما قامت به أنها انتزعت كل الممتلكات من الحكومة التركية، وطردهم الى آسيا "وحتى نزيل بشكل جيد آثار حكم العدو، إهتممنا قبل ذلك بتمزيق أو بحرق كل الوثائق المكتوبة والسجلات الإدارية، وكل القطع الأصلية وغيرها مما كان بإمكانها تخليد أثر ما أُنجز قبلنا" وهذا ما يتطابق مع شهادة الضابط الفرنسي بيليسيي دو رينو Pellissier de Reynaud في كتابه "حوليات جزائرية" الذي روى فيه . وهو شاهد عيان . أن الإدارة المدنية الفرنسية التي أسندت للسيد دونيي Denniée وهو المقتصد العام للجيش الفرنسي تحت إمرة الجنرال بورمون (قائد الحملة الفرنسية على الجزائر) قد قامت بأخذ وتهريب تقريبًا كل الدفاتر والوثائق الهامة للجزائر .

2- الوثيقة الثانية:"عمل عن الجزائر:1841" Travail sur l'Algérie

وضع هذا العمل عام 1841 وذلك بعد تجدد القتال بين الأمير عبد القادر وفرنسا بعد أن خرقت هذه الأخيرة معاهدة التافنة باجتياز الدوق دورليان إبن الملك لويس فليب والجنرال فالي الحاكم العام للجزائر أبواب الحديد في نوفمبر 1839، وقد كان ذلك خرقا فاضحا للمعاهدة.[2].

---

[1]. علي زيكي؛ كتابات طوكفيل عن الجزائر 1837. 1847 (دوتوكفيل بين الديمقراطية والاستبداد)،2023.05.05، ترجمة وتقديم: تمهيد دحو جربال،2016، مركز دراسات الوحدة العربية.

[2]. محمد رزيق،المصدر السابق، ص 76.

كتبه بعد رحلته الى الجزائر في السنة نفسها، يلخّص فيه نظرته الى قضية احتلال الجزائر ويقدّم فيه مقترحاته القائمة أساسا على الاحتلال التام والاستيطان وضرورة ربطهما بعضهما البعض، أي الاحتلال العسكري والاحتلال المدني وكيفية تحقيقهما، وهان يتوقف كثيرا عن الأمير عبد القادر ويتحدث عنه بإعجاب، لكنّه إعجاب العدو بعدوه.[1]

تمسك دوتوكفيل بفكرته والتي تتمثل في عدم مغادرة فرنسا (الجزائر) نظرا للعواقب التي ستواجهها فرنسا إثر ذلك "إذا حدث وتركت فرنسا الجزائر فإنّه من الطبيعي ألاّ تستطيع فعل ذلك إلا في الوقت الذي نراها تباشر فيه أعمالا كبرى في أوروبا، وليس في الوقت الحالي "[2].

وعليه فإن توكفيل أسلوب الرسالة الثانية عن الجزائر1837 يختلف عن أسلوب عمل عن الجزائر 1841 من حيث:

أ-الدعوة الى عدم الخروج من الجزائر والاستيطان التام:

ـ اقترح توكفيل فرنسا على عدم التفكير في مغادرة الجزائر لأن ذلك سيلحق بفرنسا مساوئ أمام منافستها بريطانيا وستظهر فرنسا في العالم أنها إنحنت أمام عجزها لقلة شجاعتها. ودعم رأيه بتبيان إيجابيات الاحتفاظ بالجزائر وعدم مغادرتها إذ أنه "لو استطعنا الوصول إلى السيطرة بإحكام على شاطئ إفريقيا هذا وامتلكناه بيسر، فإن تأثيرنا في الشؤون العامة للعالم سيكون أكثر قوة وانتشارا "[3]وبالتالي ستوثق قوتها ومكانتها حول العالم.

ـ أشار الى أنه يجب حماية المستعمرة من أي هجوم خارجي، حيث ركز على المناطق الساحلية "الوضعية الثانية هي مدينة الجزائر نفسها، الأشغال التي أجريت بها جعلت منها

---

[1] أليكسي دوتوكفيل المصدر السابق، ص10.

[2]. نفسه، ص 33.

[3]. نفسه، ص34.

ميناء تجاريا على قدر كاف من الاعتبار. بإمكان الأشغال المبرمجة والتي يمكن اعتبار نجاحها أمرا أكيدا تقريبا، جعل مدينة الجزائر ميناء عسكريا مع مؤسسة بحرية كاملة"[1]

النص الثاني هو مجموعة تقاريره عن الجزائر، وقد كتبها سنة 1847 بصفته مقرّر لجنة برلمانية كانت مهمّتها تقديم تقرير للغرفة تمهيدا لمناقشة مشروعي قانونين. يتعلّق الأول منهما بالاعتمادات التي ستخصّصُ للجزائر، أما الثاني فيخصص اقتراح "بيجو" أحد قادة الاحتلال إنشاء معسكرات أو قرى فلاحية عسكرية.[2]

ب-السيطرة ووسائل فرضها:

بعد نجاح المتواصل لثورة الأمير عبد القادر دعا أليكسي دوتوكفيل الى القضاء عليه "إذ الخوف كل الخوف من أن يكون عبد القادر بصدد إنشاء سلطة مركزية قوية لدى العرب المحيطين بنا، سلطة خفيفة الحركة، أكثر تجربة وانتظاما من كل تلك التي توالت على هذه النقطة من العالم على مر العصور ينبغي إذن حمل النفس على عدم تركه يُكمل هذا العمل المخيف"[3]

استغل في ذلك الإنشقاق بين العرب، حيث دعا إلى:

ـ إستمالة بعض القادة العرب المناوئين لعبد القادر وذلك بإعطائهم وعودًا وهبات سخية "إذا تم القضاء على عبد القادر فإن ذلك لن يتم أبدا إلا بمساعدة بعض القبائل الخاضعة له اليوم. ستنحل شبكة سيطرته بدل أن تتحطم"[4].

ج-الدعوة الى التفريق بين القبائل والعرب:

---

[1] أليكسي دوتوكفيل المصدر السابق، ص34.

[2]. أليكسي دوتوكفيل، المصدر السابق، ص 10.

[3]. نفسه، ص44.

[4]. أليكسي دوتوكفيل، المصدر السابق، ص 45.

حيث وظف دوتوكفيل سياسة "لفق تسد" لضرب الأمير عبد القادر وتقويض دعائم دولته واضعا مخططا لزرع بذور الشقاق وإحداث التفرقة بين الجزائريين واستمالتهم في قوله.. "ألا نيأس في استمالتهم إما بالنفخ في طموحهم، وإما بتوزيع المال عليهم.

كما أنه يرى أن الوسيلة الوحيدة للتعامل مع عبد القادر هي الحرب وليست الدبلوماسية حيث يقول: "أنا متأكد أنه كان ممكنًا قبل أن تولد قوة عبد القادر وقبل أن تتشكل، اللجوء فقط إلى الاستفادة من شهوات العرب بمعارضتهم بعضهم ببعض، ومنع أن يكون أي منهم زعيمًا، وإبقاؤهم كلهم تحت سيطرتنا بالضبط دون حرب.

ويمضي دوتوكفيل شارحا لفكرته الداعية للإحتلال والإستيطان وخرق فرنسا لمعاهدة التافنة، حيث يرى أنه لا يمكن دون "إحراق الغلال وإفراغ المطامير وأخيرا الاستيلاء على الرجال العُزّل من السلاح والنساء والأطفال هذه بالنسبة لي ضرورات مزعجة"[1]...

د-في الوسائل التي ينبغي استعمالها لحرب: أكثر اقتصادا وبخسائر اقل:

فبناء على ما سبق فإن دوتوكفيل يرى أن الحرب فقط هي الكفيلة بتحقيق المشروع القائم على الاحتلال الكامل والاستيطان كما أنه يدعو إلى تكوين قوات خاصة تكون قاسية، صلبة، متكيفة مع مناخ إفريقيا على غرار قوات الزّواف أو الزواوة التي يساوي فيلق واحد منها، فيلقين من فرنسا، وهذا حتى يتفادى هذا الجيش إرتفاع في عدد المرضى والموتى بسبب التعب والمناخ [2] " من الطبيعي إذن أنه ينبغي الإسراع ببناء ثكنات في الأماكن التي نحتلها بمواقع ثابتة. لا توجد ثكنات في أي مكان تقريبا باستثناء نواحي مدينة الجزائر. لا

[1]. محمد رزيق، المرجع السابق، ص79.

[2]. محمد رزيق، مرجع سابق، ص79.

تكاد توجد إطلاقا بسكيكدة وقسنطينة. هذا الإنفاق مُلِح، ليس لأنه يتعلق فقط بحياة رجال، بل لأنه يُعفي من إنفاقات أخرى كثيرة أكثر أهمية"[1].

3ـ الوثيقة الثالثة: "تقرير عن الجزائر 24 ماي 1847":

كُتب هذا التقرير من قبل دوتوكفيل باعتباره نائبا بالجمعية الوطنية الفرنسية ومقررا بلجنة القروض غير العادية لإفريقيا (الجزائر) والمتكونة من 18 عضوا.

وقد وضع هذا التقرير قبل 7 أشهر من نهاية مقاومة الأمير عبد القادر التي كانت في ديسمبر 1847، والتي توقفت بمبادرة من الأمير الذي ضاقت به السبل "خضوع القسم الأكبر من البلد بعد حرب قمنا بها ببراعة وانتهت بانتصارنا. علاقات صداقة أو على الأقل علاقات هادئة مع جيراننا من الأمراء المسلمين. كف عبد القادر عن القيام بأعمال بربرية، تشهد على ضعفه أكثر مما تشهد على فظاظته"[2] نتيجة للإعتبارات التالية:

إنتهاج فرنسا لحرب شاملة مفتوحة مع الأمير عبد القادر بقيادة الجنرال بيجو الذي اعتمد سياسة الأرض المحروقة والتقتيل الجماعي وحرب الإبادة بهدف الوصول الى نتائج حاسمة وسريعة مع المقاومة الجزائرية التي أرهقت القوات الفرنسية وشتت شملها فإستسلمت العديد من القبائل الجزائرية وتحول سلطات المغرب الأقصى الى متربص به والسعي للقضاء عليه.

إذًا فإن تقرير عن الجزائر 1847 "يختلف عن الرسالة الثانية عن الجزائر1837"، و"عمل عن الجزائر 1841" حيث أن الرسالة الثانية 1837، كتبت بعد توقيع معاهدة التافنة 30 ماي 1837، حيث يدعو فيه دوتوكفيل إلى توخي الحذر والحيطة في التعامل مع الجزائر، في حين كان أسلوب رسالة عن الجزائر تحت عنوان عمل الجزائر 1841،

---

[1]. أليكسي دوتوكفيل، المصدر السابق، ص53.

[2]. نفسه، ص 110.

مختلفا تماما عن رسالة 1837، حيث غلب أسلوب التهويل والحرب والدعوة إلى استخدام القوة والحرق والتدمير وقد مرّ شرح هذه الملاحظات.

أما تقرير عن الجزائر 1847، فقد وضع في السنة التي إنتهت فيه مقاومة الأمير عبد القادر وليس إستسلامه كما عوّدنا الخطاب الكولونيالي الفرنسي. وبالتالي فإن الروح المنبثقة من هذا التقرير هي روح المنتصر المظفر.

ينقسم هذا العمل "تقرير عن الجزائر 1847" إلى قسمين رئيسيين وهما:

ـ القسم الأول: السيطرة وحكم الأهالي.

ـ القسم الثاني: الإدارة المدنية، حكومة الأوروبيين.

والذي يعنينا في هذا التقرير لعام 1847، هو القسم الأول منه، الذي من خلاله صاغ دوتوكفيل تقريرا وضعه بين يدي الحكومة الفرنسية ضمّه وجهة نظره وتصوراته حول تحقيق السيطرة التامة في الجزائر بهدف استيطانها وتعميرها بالعنصر الأوروبي هو موضوع القسم الثاني من التقرير[1].

النص الأخير هو يوميات رحلته الى الجزائر وهي ملاحظات عن رحلته سنة 1841، دوّنها أثناء هذه الرحلة يصف فيها مشاهداته ورؤيته مع الجنود والقادة والمسؤولين ورجال الدين من المبشّرين والمستوطنين العاديين ممن التقاهم على طول مسار رحلته من وهران غربا الى الجزائر ومنها الى سكيكدة وبعض المدن شرقا[2]."الوصول الى الجزائر من ناحية وهران، بفعل التوغل كثيرا في الجهة الغربية، رأس "كاكسين"، جبل كثير الخضرة شديد الانحدار ينزل حتى البحر، السماء غائمة. يشبه مجموع المنظر ذاك الذي تتيحه في البحر شواطئ "لاهاق" كلما ازداد تقدمنا، شاهدنا مجموعة من البيوت الصغيرة البيضاء تزيّن

---

[1]. رزيق محمد، مرجع سابق، ص85.

[2]. أليكسي دوتوكفيل، مصدر سابق، ص 11.

منحدرات الجبل. بالدوران حول رأس كاكسين تنكشف مدينة الجزائر: محجرة كبرى يلمع حجرها الأبيض في الشمس[1].

أبدى دوتوكفيل في كتاباته عن الجزائر روحا عدائية ضد العرب المسلمين، وموقفًا مناصرًا للاستعمار ومشجعًا على الاحتلال وداعيًا إلى الاستيطان الأوروبي في الجزائر باعتباره العامل الأساسي الذي يكرّس الهيمنة الفرنسية. وبذلك يكون دوتوكفيل في طليعة منظّري الغزو الفرنسي ومن الرواد الأوائل الذين عالجوا القضايا التي يطرحها من وجهة نظر استعمارية تبحث عن كيفية التمكين للإحتلال وتحدد الوسائل التي يجب تسخيرها لتوطيد الاستيطان والتي تتلخص في الضغط على الجزائريين والعمل على إخضاعهم وسلبهم أراضيهم وحرمانهم حقوقهم.[2]

ونختم بالإشارة الى أن هذه النصوص عن الجزائر ليست نصوص ملاحظ عادي أو مشاهد بسيط، بل هي نصوص مراقب للسياحة، نصوص خبير وملتزم، وهي شواهد أصيلة تترجم في جزء منها النظرة الغربية عامة للشعوب الشرقية الإسلامية العربية والنظرة الاستعمارية خاصة للجزائر، وبالتالي يمكن إدراجها ضمن التراث الإستشراقي باعتبارها نظرة للآخر[3].

المبحث الثاني: صورة الجزائر في كتاب (نصوص عن الجزائر)

أولا: صورة الجزائر باعتبارها أرض مستعمرة وحيز جغرافي:

---

[1]. أليكسي دوتوكفيل، مصدر سابق، ص222.

[2]. علي زيكي، تر: علي زيكي، المصدر السابق.

[3]. أليكسي دوتوكفيل، المصدر السابق، ص 13.

أ ـ الاستيطان وانتشاره بالجزائر:

أبدى دوتوكفيل في كتاباته عن الجزائر روحا عدائية ضد العرب المسلمين وموقفا مناصرا للاستعمار ومشجعا على الاحتلال وداعيا إلى الاستيطان الأوروبي في الجزائر باعتباره العامل الأساسي الذي يكرس الهيمنة الفرنسية وهذا واضح من خلال قوله المتمثل في: يجب علينا الاحتفاظ بالجزائر لكن ما العمل كي نجح في ذلك" فهذا تساؤل يطرحه دوتوكفيل من وجهة نظر استعمارية يبحث من خلالها إلى كيفية التمكين للاحتلال وتحديد الوسائل التي يجب تسخيرها لتوطيد الاستيطان والتي تهدف الى شن الضغط على الجزائريين وسلبهم لأراضيهم وحرمانهم من حقوقهم [1] بدأت الإدارة الفرنسية في التفكير من أجل ترسيخ دعائم الوجود الفرنسي في الجزائر وتكون، ولا يتأتى لها ذلك إلا من خلال السيطرة المنظمة والواسعة عسكريا ومدنيا وتأسيس قاعدة إقليمية وإدارية مع تشجيع الهجرة الاستيطانية قصد بناء القاعدة الديموغرافية لتدعيم القوة العسكرية فتسهل بذلك عملية تدمير البني الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع الجزائري ومنه باشرت هذه الإدارة سياسة استيطانية واسعة وشرسة جندت لها كل الإمكانيات المادية والبشرية والعسكرية والمدنية زيادة على إقامتها للبناءات الضرورية من سبل الاتصال والسدود والقوات وتقديم المساعدات والمساهمة في إقامة المؤسسات المالية ومنه صرح بيجو أنه لابد من تأسيس مستعمرات عسكرية ج للتوطين بتربية الخيول والمواشي والأبقار والحمير وأنه يجب جلب الثيران والأبقار والحمير من إسبانيا ويجب الإسراع في إنشاء مشتلات لأشجار التوت والزيتون في وهران وتوزيعها مجانا على العربي، فمنذ أن أصبح حاكما عاما على الجزائر خطط لكي تصبح عملية الاستيطان من أولى اهتماماته وركنه الأول والأساسي[2]

---

[1] الكسي دوتوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر: إبراهيم صحراوي، ص35

2عبد الله خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، "المغرب العربي، فلسطين، الخليج العربي، دراسة تاريخية مقارنة، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 1983ص19

ب ـ الجزائر أرض مستعمرة: يرى دوتوكفيل أن بلدان المغرب العربي من بينها الجزائر أنها جزء من فرنسا كما اعتمد على كيفية بداية الغزو في الجزائر بالاستيطان حيث وافق على غزو الجزائر منذ 1828فهو من أنصار الاحتلال والاستعمار أي الاستيطان وهذا واضح من خلال دفاعه الاحتلال باسم الوطنية التي تستدعي ضرورة الدفاع عن سمعته، حيث قدم من خلال كتابه رسالة يعرف فيها بالشعب الجزائري من خلال عاداته وتقاليده وبعض خصائصه.[1]

شهد الاستيطان أوج ازدهاره مع **فاليو بيجو وراندونو** بداية ظهور قوات المستوطنين في فرض وجودهم على الساحة السياسية في الجزائر فكانت بداية الاستيطان العسكري باغتصاب مزرعة كبيرة المساحة وصلت حوالي1000هكتار ،حيث اعتمد هؤلاء المستوطنين على اليد العاملة الجزائرية إلى حين وصول الدفعات الأولى من فرنسا مكانة من دعاة الاستيطان في هذه المرحلة الحاكم العام كلوزيل ومن بعده ديروفيغو[2].

ج ـ موافقته للاحتلال ودعمه له: تبين لنا من خلال تطلعنا على صفحات هذا الكتاب البعض من الأقوال التي تثبت موافقة دوتوكفيل للاحتلال من بينها قوله: "ما هي الإجراءات التي علينا اتخاذها بخصوص الأراضي؟ لكن المسألة الحيوية لحكومتنا أه هي مسألة الأراضي.أما هو حقنا في هذا المجال وأين فائدتنا، مالذي علينا فعله؟ " إذن دوتوكفيل يهدف الى غزو الجزائر والاستيلاء على الحكومة حيث تم تسليم الجزائر سنة 1830م وعلى هذا الأساس تسلم لهم المدينة ويوهم الشعب الجزائري الإبقاء على دينهم وعلى أملاكهم. كما تبين ذلك في قوله أيضا: "هل يستلزم ذلك أننا لا نستطيع الاستيلاء على الأراضي الضرورية بالاستعمار الأوروبي؟ إذن من خلال ما تبين لهم بأنهم يستطيعون

---

[1] أليكسي دي توكفيل، المصدر السابق، ص 35.

[2] بوعزة بوضرساية، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، 2007،ص206

الاستيلاء على الأراضي بارتياح إما بالتنازل عن الحقوق أو بتبادل الأراضي دون أن يكلف ذلك أي شيء وإما شراءها بأثمان زهيدة. [1]

فالظاهر والملاحظ من خلال قوله هو أن قوات الاحتلال الفرنسي استطاعت فرض هيمنتها على الجزائر أي على أغلبية الأراضي الجزائرية، ومن ثمة عملت على تثبيت مؤسسات الدارة الاستعمارية فهذه الأوضاع الايجابية بالنسبة لحكومة الاحتلال جسدتها التعليمة الملكية الصادرة في 15جوان 1845على أساس مواصلة الاحتلال الذي سمح للفرنسيين من تثبيت وجوده على أغلبية أراضي الجزائر [2]كذلك من بين الأقوال التي تدل على موافقته للاحتلال ودعمه له قوله: "الوسيلة الأكثر فعالية التي بإمكاننا باللجوء إليها لشل القبائل فيمنع التجارة لأن حاجة العرب إلى البيع والشراء أكبر وبهذا سيعاني كثيرا لما يكونون منحصرين بين حرابنا [3]

لقد حرصت فرنسا على احتلال الجزائر اعتقاد منا أنها ستحصل على غنيمة تقدر بـ 150مليون فرنك توجد في خزينة الداي كما كانت تسعى إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر من أجل استغلال خيرات البلاد الاقتصادية،وقد تعاون الرأسماليون الفرنسيون كانت تدفعهم مصالح المالية إلى التوسع والعثور على أسواق جديدة ومواد خامضرورية لها مع رجال الجيش الذين كانوا يبحثون عن المغامرة وذلك بواسطة السلب والنهب إلى مصب الشخصيات الراقية في المجتمع الفرنسي كما إن مجموعة تجاري كانت متحمسة لفكرة احتلال الجزائر والاستيلاء على الأراضي الخصبة بها وزراعة العنب والبحث عن المناجم والذهب وإيجاد الأسواق لتجارها[4]

---

[1]ألكسي دوتوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، ص129

[2]بوعزة بوضرساية، الجزائر الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م. ص 48

[3]ألكسي دوتوكفيل المصدر نفسه ص49

[4]رابح لونيس واخرون. تاريخ الجزائر المعاصر 1830.1989ج1,دار المعرفة، ص59

الاستلاء على مدينة كونها قوة المستعمر في قارة إفريقيا: لأن حاجة المستعمر إلى هذا البلد بشكل كبير كأنهم يحتاجون إلى سكان مزارعين وتوفر لهما أسواق لمنتجات الفلاحة وفي هذا الصدد يقول دوتوكفيل: "مدينة الجزائر إذا هي المكان الذي ينبغي صرف جهدنا الأكبر لحساب الاستيطان" إذن دوتوكفيل يشيد الى الاحتلال والدعوة إلى عدم الخروج من الجزائر[1]وللوصول إلى انتزاع الأراضي من بين أيدي الجزائريين قامت فرنسا أو قوات الاحتلال إخضاع الجزائريين لقوانين الأقلية والأوروبيين فهمهم الوحيد هو امتلاك مستعمرة بصفة نهائية وللوصول إلى ذلك استعملت فرنسا كل أساليب الرعب والإجرام [2]

كذلك من بين أقواله للدعوة إلى الاستعمار واحتلال الجزائر وموافقته له هو قوله المتمثل في تساؤله عن نوع الحرب فيقول: " ما نوع الحرب التي يمكن ويجب القيام بها ضد العرب؟ "ومن ثمة يشرح في كيفية بداية الحرب حيث يرى أن الطرق المناسبة للقيام بهذه الحرب فيرى أنه يجب إيقاف العرب وأن يعلن عليه الحرب بأقصى عنف ممكن على الطريقة التركية أي قتل كل ما يصادفهم [3]إذن يتحدث دوتوكفيل عن موافقته للحرب وتساؤلاته لكيفية البدء بالحرب فيقول:" وفي أي قسم من الايالة ينبغي البدء بالاستعمار؟ هل يمكننا البدء بالقنوات أم بخطوط السكة الحديدية "[4]

عملت القوى الاستعمارية على تجسيد وتكريس الاستعمار الاستيطاني بالقوة والعنف وحتى بالقانون ومن هنا نفهم بأن الأرض هي المسألة الأولى التي بس هو هددها الاستعمار الاستيطاني فكانت وسائل ممارسة الاستيطانية العنف والإكراه والإغراء والشراء والطرد.[5]

---

[1]ألكسي دوتوكفيل، مصدر سابق،، ص66

[2]ابو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية ج1.ط1,دار الغرب الاسلامي. لبنان. ص26

[3] نفسه، ص47

[4] نفسه، ص61

[5]حياة فنون. الاستيطان الفرنسي ومصادرة أراضي الجزائريين خلال القرن 19.مجلة الحوار المتوسطي. ع43.قسم التاريخ. جامعة سيدي بلعباس ص149

فالدعوة الى الاستعمار لدى دوتوكفيل واضح من خلال السيطرة ووسائل فرضها وهذا يتجسد في قوله:" في أنه ليس لدينا وقت تضييعه اذا كنا نريد تحطيم قوة عبد القادر، إذا تم القضاء على عبد القادر فإن ذلك لن يتم الا بمساعدة بعض القبائل الخاضعة له اليوم سنحل شبكة سيطرته بدل أن تتحطم [1]بدأت أغلبية مدن رئيسية تابع الأمير عبد القادر تسقط بأيدي الاحتلال الفرنسي وهذا يعني سقوط الإدارة الجزائرية رمز السيادة الوطنية واستبدالها بإدارة استعمارية فرنسية، واستمرت أوضاع الجزائر في تدهور مستمر بسبب ضعف المقاومات الذي يعود بالدرجة الأولى إلى انعدام التنسيق فيما بينها إلى غاية ديسمبر من1847وهو تاريخ استسلام الامير عبد القادر على يدي القائد العسكري الفرنسي لامورسيار [2] كذلك يؤكد أنه لن يترك الجزائر وأنه سيواصل في الاحتلال القضاء عليها من خلال قوله: " لنواصل إظهار أنه لا توجد في البلد عواقب بإمكانها الوقوف في طريقنا إظهار ذلك للعرب" إذن دوتوكفيل من خلال قوله يقدم لنا رأيه الصارم الذي يتمثل في أنه لن يترك احتلال الجزائر ولا يمكن الخروج من هذه البلد دون نتيجة[3].

د ـ الدعوة الى عدم الخروج من الجزائر:

يؤكد على عدم تركه لاحتلال الجزائر أي يؤكد على التمسك باحتلال الجزائر من خلال قوله: "إلى اعتقد أنه بإمكان فرنسا التفكير جديا في مغادرة الجزائر سيكون تركها في أعين العالم إعلانا على انحدارها وتدهورها "وكذلك يؤكد أنه حتى وإن حدث وتركت فرنسا الجزائر فإنه من الطبيعي ألا نستطيع فعل ذلك إلا في الوقت الذي تباشر في أعمال كبرى في

[1]دوتوكفيل، المصدر السابق ص45

[2]بوعزة بوضرساية، المرجع السابق ص47

[3]الكسي دوتوكفيل المصدر السابق ص50

أوروبا[1]ومن أسباب تمسكه باحتلال الجزائر هناك سببين السبب الأول هو ميناء المرسى الكبير :اذ يثبت أن ميناء المرسى الكبير في وضعيتيه الحالية وبلا أشغال جديدة يمكنه استيعاب أسطول من 15 مركبا على الأقل يستحيل مهما جمعتها تقريبا بإنزال أو عن طريق البحر، أما السبب الثاني فهو: مدينة الجزائر نفسها حيث أن الأشغال التي أجريت بها جعلت منها ميناء تجاري على قدر كافي من الاعتبار، وبسبب الأشغال المبرمجة التي يمكن اعتبارها نجاحا أكيدا جعل مدينة الجزائر ميناء عسكري مع مؤسسة بحرية كاملة، [2]كذلك من بين آرائه للتمسك بالجزائر قوله المتمثل في: "ينبغي الاحتفاظ بالجزائر لكن ما العمل كان نجح في ذلك؟" من ثم يقدم شرحا لتساؤلاته فيقول: "يصفعنا اعتبار أول هو أن الوقت س يستعجلون ينبغي أن نسرع لسببين إثنين بديهيين :

1الأول إنه إذا فاجأتنا الحرب ونحن مازلنا لم نكمل هذا العمل الأول الاستقرار فستنتزع منا البلد بسهولة وتجعلنا نخسر ثمرة كل التضحيات التي قدمناها حتى الآن.

2الثاني: إنه بقدر ما سيطول هذا العمل بقدر ما ستكون حركتنا متوقفة وذراع فرنسا كالمشلولة وهي حالة يستدعي منا أمننا وشرفنا إنهاءها حالا[3]فهو يشيد بفكرة عدم فصل الاحتلال بالاستيطان وهذا واضح من خلال قوله:" ما هي الطرق لكي ننجح في ذلك؟ وقوله أيضا: "في أنه يجب أن نفس الإطلاق السيطرة والاحتلال عن الاستعمار" الاستيطان "والاستعمار عن السيطرة والاحتلال" فيقدم من خلال تساؤله طريقتان لغزو بلد واحتلاله فالأولى عنده: هي وضع المحتل السكان تحت سيطرته وحكمهم مباشرة او بطريقة غير

[1]ألكسي دوتوكفيل، مصدر سابق، ص33

[2]نفسه، ص34,35

[3] نفسه، ص 35

مباشرة وهو نظام الانجليز في الهند، أما الرأي الثاني فهو وضع جماعات من العرق الغازي مكان السكان الاصليين، هكذا تصرف الأوروبيين دائما[1].

تماسك عنصر الاحتلال بالاستيطان واضح عنده : حيث جلد تكفير أن الجزائري قسمان كبير اني هما الاحتلال والاستيطان هذان الشيئان متماسكان لا يمكن أن يوجدا أو أن يكونا منتجين إذا وجد أحدهما دون الآخر ينبغي أن يمشيا مع بعضهما في الوقت نفسه، أخرى حيث مهد إلى طريقة الوصول إلى الاحتلال المتمثلة في: نظام الحرب، اشياء غير ضرورية، أي الوسيلة الأنسب والوحيدة لتأمين الاحتلال هي الحرب وأحسن طريقة القيام بالحرب هي القيام بها بطريقة أقل فهذا هو موقف دوتوكفيل من المسألة[2]إذن يبدي دوتوكفيل في كيفية الاحتفاظ بالجزائر حيث يطرح مسألة لها أهمية كبيرة بالنسبة له فيقول:

مسألة التي سأطرحها لها أهمية كبيرة أرى فيها مستقبل حملتنا العناية ب60بستين وعشرة لاف و10,000 رجل في إفريقيا يموت قسم منهم كل عام بالمستشفيات ويكلفون فرنسا 100,000,00مئة مليون، أرى هنا وضعا غير مقبول سيلغي كل عملنا في العالم ويجعلنا نخرج من إفريقيا غريبا إن هو طال واستمر ،،ينبغي إذا إيجاد وسيلة للقيام بالجهد نفسه بعدد أقل من الرجال وعدد أقل من المرضى ومبالغ مالية أقل، وأهم إجراءات بلوغ هذه النقطة وإحداث وجيش الخاص بإفريقيا أي: لا أعتقد أنه يوجد في إفريقيا ضابط واحد يا في أنه للقيام بالحرب مثل ما نقوم به الآن في هذا البلد فإن فيلقا مثل الزواوة يساوي على الاقل فيلقين آتين من فرنسا، ليس فقط من حيث القيام بمعركة بل من حيث تحمل المتاعب والحرمان وهي الأشياء التي تشكل يوميات الجندي في هذا البلد، خلي أسباب متعلقة بالتكلفة كندا تكفل يفضل إنشاء جيش إفريقي مشكل من العرب، معنيين كما هو الحال وفق تقاليدهم

[1]ألكسي دوتوكفيل، مصدر سابق، ،ص36

[2] نفسه ص 108

في سلاح الفرسان،، لا يمكن ليس لكي الأهالي هذا أن يكون فعلا إلا بشرط أن يكون أوروبيا أو تحت قياد أوروبية ينبغي إذن ترك هؤلاء الجنود لعادتهم القتالية[1] .

يوضح لنا "محمد قاوبار" هنا بقوله: فإذا كان الاستعمار يمثل هيمنته على مجتمع آخر بالقوة العسكرية قصد استغلال ثرواته وطاقته البشرية والمادية، وإذلال الإنسان بدعوى "عدم تحظره" وحاجته إلى تجاوز الفوضى والتأخر فلا غرابة إن وجدنا أنه لا يعتمد فقط على القوة المادية والعسكرية لفرض سيطرته على الإنسان والمجال بل يتوصلوا أيضا بالسلطة الرمزية لممارسة تأثيره على أفراد الشعب المستعمر وجماعته[2]

كما يرى أيضا أن الجزائر أرض مستعمرة من خلال قضية ملكية الأراضي بالجزائر وكيفية تنظيمها وحلا لإشكالات الكثير المرتبطة بها فحصول مستمرين على هذه الملكية كان يتم إما بانتزاع الأراضي من أصحابها أو بوضع اليد عليها فكان موقف دوتوكفيل غير ثابت متغير ومتطور بحسب تطورات وتغيرات الموقف السياسي [3]

كذلك هو يؤكد أنه لن يترك الجزائر وأنه سيواصل في الاحتلال للقضاء عليها من خلال قوله: " لنوصل إظهار أنه لا توجد في البلد عوائق بإمكانها الوقوف في طريقنا إظهار ذلك للعرب وجنودها كذلك للقضاة على كل ما يمكن أن يشبه تجمعا دائما السلام،

أو بعبارة أخرى مدينة أعتقد أنه من الحذر الشديد عدم ترك وجود أو قيام أي مدينة في أراضي عبد القادر[4]لأن القضاء على عبد القادر لن يغير كثيرا هذه الوضعية ذلك أن الطرق التي تحكم بها القبائل العربية في سلم تشبه كثيرا إجراءات الحرب تتطلب هذه الأمور

---

[1]ألكسي دوتوكفيل، مصدر سابق، ص54

[2]محمد قاوبار، سيسيولوجياالانتاج المعرفي الكولونيالي بشأن التربية والتعليم في المغرب، عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية،المجلد الخامس، صيف 2016،ص70

[3]ألكسي دوتوكفيل، مصدر سابق، ص 11

[4]ألكسي دوتوكفيل، مصدر سابق، ص50

المعرفة والعادة يستخلصون أنه يجب أن يبقى الحاكم عسكري لفترة طويلة لأن دوتوكفيل درس عن قرب الاستعمار الإنجليزي في الهند ويبدو موافقا جدا على حكومة مدينة فهذا لا يعني أنه يجب وضع السلاح[1]لكن من وجهة نظر أخرى تثبت بداية الغزو:مع العلم أنه قد كان لدى الرحالة المستكشفين دورا كبير في تزويد الحملة الفرنسية بالمعلومات وذلك من خلال الكتابات التي أعدتها الأسر والقناصل المقيمين في الجزائر ورجال الدين ولعل هذه الدراسة كانت تشرح البنية

الاجتماعية الاقتصادية والثقافية والسياسية للجزائر مما جعل تسهيل عملية الغزو بالإضافة إلى البعثات الفرنسية من خلال الجواسيس[2]

احتلال الجزائر التام والاستيطان: فإن ما ذهب إليه دوتوكفيل أنه لا يفرق بين الاحتلال والاستيطان يعني ضرورة ربطهما بعضهما ببعض أي الاحتلال العسكري والمدني فهو يستعرض أسباب تمسكه بالاحتلال وكيفيات تحقيقها سواء من حيث الشروط المادية يعني "الحرب "فيما يتعلق الأمر بالاحتلال وكيفية القيام بها و وسائلها أو بالشروط الأخلاقية فيما يتعلق الأمر بانتزاع ملكية الأراضي في إطار الاستيطان أو التسلية التي ينبغي إعطاؤها للمواطنين[3]

2/ صورة الجزائر شعبا:

أ ـ عنصرية الاحتلال الفرنسي وجور قانون الأهالي(نزع الملكية من الأهالي)ناقش دوتوكفيل جملة من القضايا والتي من بينها كيفية توثيق السيطرة على الأهالي، وحدودها وإمكانياتها، ومبادئها، كما تطرق إلى كيفية إدارة شؤون الأوروبيين في الجزائر وأشكالها

[1] نفسه، ص 79

[2]أحميدة عمرواي، الجزائر في ادبيات الرحلة والاسرى خلال العهد العثماني، مذكرات تيديا أنموذجا، ط1،دار الهدى، عين مليلة الجزائر 2009،ص45.46

[3] ألكسي دوتوكفيل، مصدر سابق، ص 11

وقواعدها وكيفية التوفيق بين القوانين المطبقة في الوطن الأم وتلك التي ينبغي أن تراعي ظروف المستعمرة[1]كما تبين لنا من خلال قوله: "لا شيء يثير الأهالي ويفزعهم أكثر من الإتيان بمزارعين أوروبيين" يعني ذلك أنه لا يجب أن يشرع في الاستيطان في المقاطعة التي يجدون صعوبة في إخضاعها للاستيطان. [2]

لم تنعكس السياسة الاستيطانية على الميدان الاقتصادي فقط بل امتدت أثارها الى الميدان الاقتصادي وذلك من خلال الدور الذي لعبته التشريعات العقارية الاستعمارية في تحطيم البنية الاقتصادية للمجتمع الجزائري والقضاء على توازنه ومنه نذكر ما يلي:

فرنسة الأراضي بإخضاعها للقانون الفرنسي والمبني أساسا على الملكيات الفردية الحرة، والتي لا تخضع لقيود قانونية خاصة وهذا ما أدى الى إباحة التصرف في أملاكها والاستيلاء عليها، وبذلك انتقلت مساحات هائلة من أراضي الجزائر الى أيدي الاستعمار، كما قام المستعمرين بتهجير القبائل ومصادرة أراضيهم خاصة المناطق التي عرفت انتفاضات شعبية، كذلك تسليط عقوبة المصادرة ضد الأهالي بشكل جماعي أو فردي بسبب انتفاضتهم ضد السلطة الاستعمارية [3]

إن ما ذهب إليه دوتوكفيل حول نزع الملكية من الأهالي الذي يعتبره ليس بالأمر الصعب ومن هذا المنبر يقول: "في سهل متيجة ليس هناك مساحات كبيرة غير مسكونة لكنها مملوكة الأوروبيين حصلوا عليها من الأهالي" [4]ومن خلال هذا القول أن فكرة نقل وتهجير الأوروبيين من فرنسا وأوروبا حول الجزائر كانت راسخة في عقول زعماء الاستعمار الفرنسي، وبذلك اتسعت فرنسا وتعددت أساليبها الاستعمارية، ولم يقتصر استعمارها على

---

[1]ألكسي دوتوكفيل، مصدر سابق، ص 10

[2]دوتوكفيل مصدر سابق، ص 62

[3]عميراوي أحميدة، المرجع السابق، ص 26

[4]دوتوكفيل، المصدر السابق، ص 70

السيطرة العسكرية أو الاقتصادية وإنما تجاوز ذلك إلى ضم الجزائر واعتبرتها جزءا منها [1]كما حاولت أيضا اغتصاب الأراضي الخصبة من أيدي الجزائريين وإعطائها للفرنسيين ليكونوا أعوانا لها وعيونا لتتثبت أقدام الفرنسيين فيها [2]

ب ـتحالف الساسة والعسكر لإبادة الشعب الجزائري: إذن فمن منظور دوتوكفيل فهو يرى أن الشعب الجزائري شعب متخلف ومجموعات صغيرة همجية ومتوحشة فهو يدعو إلى محاربتهم بشتى الطرق وجلب الحضارة لهم من خلال قوله: "العرب هم أكثر حاجة المدن مما يتصورن هم أنفسهم[3] ".إذن عندما كان الرأي العام السائد في فرنسا والقارة الأوروبية، يعتبر ظاهرة الاستعمار أداة ايجابية في يد الرجل الأبيض من أجل محاربة التوحش والجهل ونشر الحضارة في العالم، لذا فإن سياسة "الإبادة" التي مارسها الجيش الفرنسي قد سكت عنها المتعلمون الذين كانوا يضعون الرأي العام عبر الصحافة ويدافعون عن القيم الانسانية واعتبروها بمثابة "شر لابد منه" وفي هذا السياق هلل كل من "كارل ماركس" ورفيقه "فريديريك انجلز" لاحتلال الجزائر كما رحب هذا الأخير بانهزام الأمير عبد القادر الذي كان رأيه يدافع عن نظام سياسي واقتصادي محكوم عليه بالزوال، ورغم معارضة "فريديريك اجلز" للنظام الرأسمالي المبني على الاستغلال، فقد فضله على ما سماه "بالنظام اللاحضاري" القائم في الجزائر.[4]

كذلك يرى أنه: لا يمكن دراسة الشعوب البربرية إلا والسلاح في اليد، لقد هزمنا العرب قبل أن نعرفهم، إن الانتصار بإيجاده لعلاقات ضرورية وكثيرة بينهم وبيننا، هو الذي جعلنا

---

[1]فرغلي علي تسن هريدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف والاستعمار والاستقلال، دار العلم والإيمان، ط1بالقاهرة 2008م ص136

[2]محمود شاكر، التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر المغرب ج14ط2الكتب الإسلامي، بيروت 1992م ص216

[3]دوتوكفيل، المرجع السابق، ص 70

[4] محمد ارزقي فراد. تحرير تاريخنا من المدرسة الكولونيالية "بلاد الزواوة انموذجا" منبر حوار الافكار، منشورات المجلس 2012ص48

نغوص في عاداتهم وأفكارهم ومعتقداتهم، ومكننا في النهاية من اسرار التحكم فيهم وحكمهم والتقدم الذي احرزناه في هذا المجال فهو ذو طبيعة مدهشة، نستطيع القول اليوم انه لا ينفع علينا شيء في مجتمع الأهالي، ولا يمثل هذا المجتمع بالنسبة ليا أي سر، لما تعلق الامر بدراسة الشعب المهزوم، أظهر الجيش ذكاء ونفاذ بصر كما أظهر شجاعة باهرة وطاقة تحلت بالصبر والهدوء في اخضاعه لسلاحنا لم نتوصل بفضله الى التعرف على الأفكار الغالبة عند العرب والمعرفة الجيدة للأحداث العامة التي تؤثر فيهم فحسب، بل أننا نزلنا الى حد معرفة التفاصيل الثانوية لهذه الأمور، لقد أعطينا واعترفنا بمعظم العوامل المختلفة المشكلة لجمهور الأهالي، ونحن نعرف موطن كل الأشياء، بإمكاننا للمرة الاولى إذن أن نبحث ونقول ونحن على دراية تامة بالأمور، ماهي الحدود الحقيقية والطبيعية لسيطرتها في إفريقيا وكيف سيكون ولفترة طويلة الوضع الطبيعي لقواتنا، ماهي الأدوات وما هي الطريقة المناسبة لإدارة أمور الشعوب التي تعيش هناك؟ ومالذي يجدر بنا الخوف منه لديهم، إذن يعود الفضل في إنشاء المكاتب العربية لأمور يسيرة، لكن بيجو هو الذي رسمها بقرار 1فيفري 1844ووضعها تحت سلطة الجنرال "دوماس" ولأن هذا الاخير كان مأخوذا جدا بالحضارة الإسلامية فقد طور المؤسسة، كان ضابط المكاتب العربية واسطة بين السلطة العسكرية والاهالي، وجنود واداريون ومخبرون وقضاة ومستشارون كانت مهمتهم تقديم المعلومات للسلطات حول الاهالي وعقليتهم، وهيا ادارة شؤون القبائل، وإذ كانوا قد عمقوا معرفتهم بالأهالي وتعلموا لغاتهم، فلم يكن همهم تمدينهم وحثهم على الاستقرار في مكان واحد وجعلهم فردانيين أي:(تخليصهم من الرابطة القبيلة بالقضاء على بنية القبيلة)، كان المكتب العربي يتشكل من ضباط منتدبين من فيالقهم من مترجم وطبيب وسكرتيرين (عربي فرنسي) وبعض الفرق الاخرى [1]

[1]ألكسي دوتوكفيل المصدر السابق ص 111

يرى ان علاقة العرب بالغرب هي العلاقة أشد تميزا وحساسية، حيث أدت هذه العلاقة الى تصادم وتنافر وتناقض عبر العصور كما يرى أن العرب يعيشون أوضاعا جد صعبة بسبب التخلف السياسي والاقتصادي الناجمين عن عجز وتخلف الثقافات التي تتعلق بالإنتاج الفكري في مختلف المجالات واثاره التقنية التطبيقية [1]

وبعد قراءة متأنية لما جاء به دوتوكفيل بخصوص الشعب الجزائري استخلص ان "الشر" تجسد في الاستعمار الذي أنجب الاستدمار والابادة، وما من شك انه سيبقى صفحة سوداء تعكر العلاقات بين الشعبين الفرنسي والجزائري. [2]

ج ـ الشعب القبائلي شعب ملذات وشهوات: فالملاحظ أن دوتوكفيل يبدي نظرته للشعب القبائلي على أنه شعب أكثر إيجابية وأقل ايمانا وأقل حماسا من العربي مبدي رأيه قائلا: "العشق الكبير للقبائلي هو الملذات والشهوات، ومن هنا يمكننا شده" [3]فكل ما ذهب اليه دوتوكفيل هو أن القبائل ما هم الا حيوانات للمتعة الجنسية فقط، الصقوا بهم كل صفات القبح والاوصاف الذميمة التي خطرت على بال المستعمرين، فالمرأة الجزائرية برأيهم هي «حيوان للمتعة الجنسية–خارج الاطار الاخلاقي!، وانها تمارس الخيانة الزوجية، والدعارة في حين يمارس الرجال اللواط»!، ومن صفاتهم الاخرى انعدام النظافة والنهب والسلب والخداع والجهل، فالجزائري في نظر الفرنسيين متوحش له حضارة وديانة سيئة، لذلك فهو عنصر غير مرغوب فيه: «إن الاهلي الجزائري مضر على الدوام، ومن أجل هذا فإنه يعتبر حيوانا مفترسا [4]

---

[1]الكسي دوتوكفيل المصدر نفسه ص 5

[2] محمد ارزقي فراد، تحرير بلادنا من المدرسة الكولونيالية بلاد الزواوة انموذجا، منبر حوار الافكار، منشورات المجلس 2012ص52

[3]الكسي دوتوكفيل المصدر نفسه ص23

[4] محمد ارزقي فراد، تحرير تاريخنا من المدرسة الكولونيالية "بلاد الزواوة انموذجا" منبر حوار الافكار، 42،منشورات المجلس 2012ص46

د. ضرب الجانب الاقتصادي: بصراحة بأنه حتى وإن شجع الزراعة جزائرية ينبغي عليهم شراء سلعهم من إفريقيا، وبأسعار أعلى من الذي يشترونه من جهات أخرى هي أعتقد أن هذا الأمر ليس سياسيا ولا اقتصاديا حيث يوضح من خلال قوله: "تطلب منكم المادة 11 اعتماد244750فرنكا موجهة لتغطية مصاريف كراء الأسرة العسكرية والاعتناء بها وكذا لوازم المعسكر الأخرى في إفريقيا كذلك التزويد بالخيول400120فرنك حيث اعتمد الوزير لمواجهة المزيدات في أسعار الخيول في مقاطعته الجزائر ورا اعتمادا استثنائيا400120فرنك حيث أن سعر الخيول كان سنة 1830 في تصاعد مستمر أه كان عند بداية الحملة 280 فرنك للحصان الواحد ثم أصبح تابعا300و350وهو اليوم 425فرنك وهو متوسط خذوا من مجموع المقاطعات الثلاثة والسعر يقارب500 فرنك للرأس الواحد ي في مقاطعة الجزائر ووهران بينما لا يتجاوز 400 فرنك في مقاطعة قسنطينة ومن هنا نلاحظ أنه بفعل حالة الحرب زادت احتياجات المربين وأدت إلى اضطرابهم[1]إذن يتبين من خلال ما جاء به الاحتلال الفرنسي في حق الجزائر تدهور اقتصاد الجزائر أثناء فترة الاستعمار حيث نتج عنه تدني في المستوى المعيشي للفرد الجزائري، كما يصف "الكارديناال لا فيجري" هذه الحالة في قوله: "منذ اشهر عديدة فإن عددا كبيرا من العرب لا يعيشون الاعلى عشب الوحل واوراق الاشجار فالأزمة الاقتصادية هاته ضربت الجزائريين وحدهم دون غيرهم من الاوروبيين الذين لم يتأثروا بها ويؤكد ذلك أثر النتائج البشرية للازمة حيث نتذكر المصادر الرسمية أن عدد الوفيات بين الجزائريين قد بلغ خلال تسعة اشهر فقط عام (1868)حوالي 214603جزائري، أما الادارة الفرنسية أكدت ان العدد يتجاوز ذلك، أما الصحافة قد اختلفت في تقدير العدد فمنها ما ذكرت500الف ومنها من ذكرت 600الف [2]

[1]ألكسي دوتوكفيل، المصدر السابق، ص177.

[2]بوعزة بوضرساية واخرون، الجرائم الفرنسية والابادة الجماعية في حق الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث العلمي وثورة نوفمبر 1954،طبعة خاصة، وزارة المجاهدين ص191

هـ ـ المعسكرات الفلاحية: مما لا شك فيه بأنه يوجد حل مدينة الجزائر وعلى عرضه يتراوح ما في ما بين8 و10 كيلومترات حدائق وبساتين والأرض مفتوحة تنتج وبوفرة وتعيش منها أعداد كبيرة من السكان بتعود على مالكيها بأرباح كبيرة فلم تقتصر الدولة على المصاريف فقط بل اقامت الحصون والمدارس وإنشاء الكنائس وشق الطرقات فقد تكلفت بجعل أعمال الخواص تزدهر وقدمت لهم بصورة كاملة أو جزئية امكانات تنصيبهم فوق الارض، العائلات التي وضعتها في هذه القرى تنتمي كلها إلى الطبقات الأكثر فقرا في أوروبا[1]

ومنه يتساءل دوتوكفيل من خلال قوله: "ما المقصود بمعسكر فيله سادتي؟ أه إن لم يكن قرية تتكفل فيها الدولة ليست فقط بإنجاز الأشغال ذات الطابع العمومي لكن أيضا يتقدم كل الموارد الضرورية للخواص كي يكونوا ثروة اذن دوتوكفيل يبين أنه لا يوجد فرق كبير بين القرى والمعسكرات الفلاحية سوى فروق ثانوية او سطحية يتشابهان بملامحها الاساسية، دفع واحدة الى الوراء انكار للأخرى في القرية العسكرية يكون مختارا بدءا بصورة افضل من مثيله في القرية المدنية [2]لقد لعبت سياسة الاستيطانية دورا هاما في تغيير النشاط الزراعي، الجزائري وتوجيه حسب حاجيات الاقتصاد الاستعماري وهذا من خلال إخضاع الزراعة للنظام الرأسمالي الاستعماري بحيث عامل الاستعمار الفرنسي على تمليك الأراضي للمعمرين والذين بدورهم قاموا بتحويل إنتاج الأراضي من زراعة القمح إلى زراعة بل عملوا على محاولة إقناع الجزائريين أنفسهم على ممارسة هذا النوع من النشاط والذي يتعارض مع تقاليدهم الفلاحين القائمة على توفير معاشهم ولكن في الأخير يبقى المستوطنون هما المستفيد الأول في كل هذا[3]

---

[1]ألكسي دوتوكفيل المصدر السابق ص 195

[2] نفسه، ص208

[3]عميراوي أحميده واخرون، المرجع السابق ص 58

و . الإبادة والقمع والوحشية بالجزائر: حيث دعا دوتوكفيل الى سقوط العرب بين ايديهم وهزيمتهم واخضاعهم لكل انواع التعذيب والوحشية وهذا واضح من خلال قوله: "ليس هناك أي شعب همجي وحشي على هذا النحو يفلت من هذه القاعدة العامة من قواعد الإنسانية[1]كما اعتمدت قوات الاحتلال الفرنسي على استراتيجية الحرب الشاملة والإبادة والدمار ضد الشعب الجزائري منذ بداية الاحتلال كما عمل قادتهم العسكريين والبرجوازيين على سيطرة الأراضي الجزائرية، كما اتبعوا كل أنواع القهر والتعذيب والتقدير وتهديم المؤسسات الاقتصادية والتعليمية والدينية، كهدم المساجد وتحويلها إلى كنائس فهذه كلها حقائق القمع الذي عاشه المجتمع الجزائري رجاله ونسائه وأطفاله وحتى بحيواناته وأرضه[2]

3 ـ الجزائر ثقافة:

1محاربة التعليم العربي: لقد سجل المؤرخ والسياسي دوتوكفيل مسؤولية الإدارة الفرنسية في تقهقر التعليم العربي بقوله:" إن الفوضى العربية ذات العواقب الوخيمة جدا على هذه الشعوب مضرة لنا نحن أيضا ذلك أننا ونحن لا نملك لا إرادة إخضاعهم فجأة بسلاحنا ولا القدرة على ذلك، ليس بإمكاننا سوى الأمل في التصرف معهم على المدى الطويل عبر الاتصال بهم بأفكارنا وفنونا[3]عن طريق إصدار فرنسا لعدة قوانين لمحاربة وإفساد العقول وجعلها متخلفة ومنعها من مواكبة التاريخ لعب الاستعمار ودورا كبيرا في نشر الجهل والأمية لإنشاء جيل مشبع بالثقافة الغربية واللغة الفرنسية وإفراغ مناهج التعليمي من محتواها الحضاري والثقافي لأن تعليمهم يعتبروا خطرا على مصالح المعمرين[4]

---

[1]ألكسي دوتوكفيل المصدر السابق، ص19

[2]لونيسي إبراهيم، سياسة التعذيب في الجزائر وأهدافه. مجلة عصور، وهران، جوان 2002ص57

[3]ألكسي دوتوكفيل، المصدر السابق، ص24

[4]شارل روبيرا جيرو، تاريخ الجزائر المعاصرة، كتب تاريخ قارات العالم، كتب التاريخ 1982ص126.

أ . إلحاق الجزائر بفرنسا: وهذا واضح من خلال ما صرح به المؤرخ دوتوكفيل فيقوله المتمثل في: "يجب أن نطلب منهم ما يقبلونه وليس ما ينفرون منه، ليس للملكية الفردية وللصناعة ولا الإقامة المستقرة ما يعارضه في دين محمد عارفة بعض العربي أو يعرفون هذه الأشياء في أماكن أخرى، وقد تذوق بعدها حتى بعد الجزائريين وأعجبوا بها لماذا نفقد الأمل في جعلها معتادة من اكبر عدد ممكن؟... لماذا لا نبحث نحن عن جعل هؤلاء مزدهر يتضمن إمبراطورتينا؟ لان رغم الأهالي على المجيء إلى مدارسنا بل نساعدهم على إقامة مدارسهم ومضاعفة عدد المدرسين بها وعلى تكوين رجال القانون ورجال ديني لا تستطيع الحضارة الإسلامية الاستغناء عنهم أكثر مما لا تستطيعه حضارتنا[1]

إن بعض الكتاب الفرنسيين حاولوا طمس ابسط الحقائق التاريخية لتبرير الاستعمار الفرنسي للجزائر يدعون أنه قبل1830 لم يكن في الجزائر مجتمع منظم في شكل أمة أو دولة وإنما هناك تجمعات قبلية في كل منظمة وتميزت فترة الاحتلال الأولى بعدم وضوح الرؤية الفرنسية بخصوص إلحاق الأهالي بالفرنسيين لاهتمامهم كان منصبا على الإقليم أكثر من الأهالي وهذا ما خالف مبادئ القانون الدولي التي توجب الحاق أهالي الأقاليم [2]

ففي شهرافريلو1845صدر القانون الذي يؤكد إلحاق الجزائر بفرنسا، ومنه فإن مسألة إلحاق الجزائر بفرنسا بادر إليه العسكريون مدعمين بالسلطة المركزية في باريس، لم تجد استحساناً من طرف المستوطنين الذين كانوا يطمحون منذ البداية إلى عزل جزائري عن فرنسا والبحث عن استقلالها، والبحث عن تيار معاكس للنظام العسكري الذي ربط الاستيطان بالجزائري وجعلها أرض فرنسية[3]كما عملت ايضا السلطات الفرنسية اي ادارة السلطات الاستيطانية على ضرب الجانب الثقافي، وذلك بالقضاء على معالم الثقافة العربية بالجزائر وقامت

---

[1]ألكسي دوتوكفيل المصدر السابق ص128.

[2]الطيب ذروني: الوسيط في الجنسية الجزائرية. الكاهنة، الجزائر 2002ص250.

[3]يحي بوعزيز. سياسة التسلط الاستعماري. مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830.1954سنة 2009ص15

بدورها التعسفي على التمدين ونشر رسالتها الحضارية في التفكير والسلوك فقد جرت في غالبية الحالات في محاولة تصدير أهدافها تحت التبشير والحضارة فكان التبشير على نوعان من التنشئة الاستعمارية على طريقة عالمية سواء عن طريق نقل دين المستعمر ولغته وثقافته وقيمه وتقاليده ونظمه ومؤسساته حتى تثبيت دعائم غطاء لعملية الاستقلال[1]

ب ـ محاولة القضاء على الدين الاسلامي: فكل ما ذهب اليه دوتوكفيل هو الاشادة بفكرة ان المجتمع الاسلامي لم يكن غير متحضر وهذا واضح من خلال ما جاء به: "لم يكن الشعب الاسلامي في افريقيا غير متحضر، وانما كان فقط ذا حضارة متأخرة وغير مكتملة، كان يوجد فيه عدد كبير من المؤسسات الخيرية التي كان هدفها تقديم العون للمحتاجين والتربية العمومية، وضعنا يدنا في كل مكان على عادتها وحولناها عن مقاصدهاالسابقة. فقد انقصنا من المؤسسات الخيرية، وتخلينا عن المدارس، وفرقنا حلقات الدروس، انطفأت الانوار من حولن، توقف توظيف رجال دين ورجال قضاء، بمعنى أننا ارجعنا المجتمع الجزائري اكثر بؤسا، واكثر جهلا وأكثر بربرية مما كان عليه من قبل أن يعرفنا" اذن دوتوكفيل يصرح بالجرائم التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري بما في ذلك محاربة الدين الاسلامي وذلك بالقضاء على مبادئه وقيمه [2]لقد عمل الاستعمار الفرنسي في الجزائر على محاولة محو مقاومات الشخصية الوطنية المتمثلة في الدين الإسلامي كما سعى إلى تعزيز الغزو العسكري بغزو فكري ثقافي بهدف محاولة تحطيم الشخصية الوطنية للشعب الجزائري[3]وعليه يذهب "أحمد طالب الإبراهيمي" الى القول: "إن فرنسا لم تكتف من تجريد الإنسان الجزائري من أرضه ومسح شخصيته، بل عملت على إفساد الأفئدة والعقول،

---

[1]بن فرحات عامر، الحقيقة التاريخية لظاهرة الاستعمار في حوض البحر المتوسط، الجزائر نموذجا 1830,1962،ملخص مشروع ماجستير تاريخ، قسم تاريخ. جامعة الجزائر 2007،2006ص12

[2]ألكسي دوتوكفيل المصدر نفسه ص120

[3]العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في ق19، دار المعرفة، الجزائر 2006ص70

وقد تجلى عملها التخريبي في إغلاق المدارس والمساجد وهدم الزوايا، لأنها كانت مركزا لتثقيف الشباب، وغرس روح المقاومة في نفوسهم. وهكذا قضت فرنسا على الثقافة الجزائرية[1]

المبحث الثالث: الرد على صورة الجزائر عند دوتوكفيل

إن الذي يتصفح تاريخ الجزائر في القرن التاسع عشر، ويتذكّر في نفس الوقت الكفاح المسلح والنضال الثوري الذي قامت، ولا تزال تقوم به بعض الشعوب من أجل تحقيق

[1]احمد طالب الابراهيمي، من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية. تر: حنفي بن عيسى، ش، و، ن، ت، الجزائر 1973ص14-15

استقلالها أو تحسين وضعها السياسي، لا يسعه إلا أن يتعجب إذ يلاحظ بأن الجزائريين وزعماءهم الذين ظهروا على مسرح من الأحداث من 1832 الى 1872 أمثال الأمير عبد القادر، كانوا ثوريين بأتمّ معنى الكلمة، لأنهم لم يولوا المساعي الدبلوماسية إلا دورا ثانويا، واعتمدوا في كفاحهم بالدرجة الأولى على الفكرة الأساسية التي ينبغي أن تكون قوام كل كفاح ضد الاستعمار ولا يخطرنّ ببال أحد أن كفاحهم انحصر في رفع السلاح ضدّ العدوّ، بل هناك جانب آخر يهمنا، ألا وهو الروح الثورية التي خاضوا بها المعركة.[1]

1 ـ الأمير عبد القادر وكسر نمطية الصورة الاستعمارية عن الجزائري:

رأينا بان دوتوكفيل يذهب إلى أن الأمير عبد القادر رجل متعصب ويتصف بالضعف والجبن ويمكن القضاء عليه "يعلم عبد القادر ألا حظ له ولو كان ضئيلا في هزيمتنا في معركة منظمة"، لكن الأمير عبد القادر كسر من خلال نضاله نمطية هذه الصورة التي كونها المستعمر عنه، وخيّب ظن دوتوكفيل في إمكانية القضاء عليه وعلى ثورته ضد الاستعمار الفرنسي التي دامت 17 عاما من المقاومة والانتصارات المتواصلة بالرغم من الوسائل التقليدية البسيطة كالخيول والسيوف مقارنة بأسلحة فرنسا المتطورة وصموده في وجه الاحتلال الغاشم وذلك بمساعدة القبائل التي بايعته من اجل تحرير البلاد وإيمانه القوي.

يرى المؤرخ (أبو القاسم سعد الله) أن الأمير بلغ أوج قوته وسمعته السياسية بعد معاهدة التافنة التي اعترفت به في الواقع السيد غير المنازع في البلاد، ولكن الأمير كان لا يتوانى عن الحرب إذا ما رآها الحل الوحيد وهو لذلك فضّل الحرب على الإهانة بعد 1839.[2]

---

[1]. مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، تر:حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر الجزائر 2007، فيلا 6، حي سعيد حميدون ـ 16012، الجزائر، ص 46/45.

[2]قندوز عبد القادر، الأمير عبد القادر في كتابات الدكتور أبو القاسم سعد الله، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ـ جامعية سيدي بلعباس ـ، المجلد 07، العدد 02، ديسمبر 2016، ص87.

في سنة 1837 وقعت معاهدة بين الأمير عبد القادر والحكومة الفرنسية سميت بمعاهدة التافنة، كانت نتيجة للهزيمة الشنعاء التي لحقت بفرنسا بسبب المقاومة الشعبية آنذاك، نصت فيها على أن يعترف الأمير عبد القادر بالسيادة الفرنسية في إفريقيا، مقابل تنازل فرنسا عن ما يقارب ثلثي الجزائر لإمارته، "ولم يكد حبر معاهدة التافنة يجف حتى ظهرت المساعي من الفرنسيين لإبطالها، فكانوا المبادرين الى ذلك واتخذوا من رفض الأمير عبد القادر في التنازل عن الكثير من الأراضي لصالحهم وسوء تفسيرهم لبنود المعاهدة والمتنازع عليها حجة لإلغائها نهائيا، فقد اعتبرها الشعب الفرنسي إهانة وتسليم إقليم فرنسي إلى سلطة منافسة. وبعد الضغوطات التي تعرضت لها فرنسا بالتراجع عن هذا القرار بدأت بالاستعداد للهجوم على حصن حمزة، وفي هذا اعتراف أنّ الفرنسيين هم من نقضوا المعاهدة وليس الأمير عبد القادر كما تدعي كتاباتهم، حيث اعترف سانت أرنو من خلال رسالته عن توسعات الأمير عبد القادر والقوة العسكرية التي امتلكها من جراء معاهدة التافنة وذكر أن الأمير يزداد قوة وتوسعا باستيلائه على عين ماضي مدعما بمدافع الحصار التي تحصل عليها من جراء معاهدة التافنة، والمقدرة بثلاث قطع من المدافع، كما تألف جيشه في هذه الحرب من ستة آلاف من الخيالة وثلاث آلاف من المشاة. وفي هذا السياق اعتبر كارل بيرنت أن معاهدة التافنة لم تكن إلّا حتمية للإجراءات الخاطئة التي اتخذتها فرنسا لتسيير الشؤون الإفريقية، فكل ماذهب إليه الاستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري على أنه شعب متخلف ومتوحش ومتعصب تم دحضه من قبل مجموعة من قبل مجموعة من النخبة الجزائرية من بينها الأمير عبد القادر الذي ساهم في إنجاح عدة مفاوضات من بنيها معاهدة التافنة والتشجيع على العلم والمعرفة من خلال المساجد والمدارس لإعادة الاعتبار للشعب الجزائري على انه شعب دين وثقافة وأخلاق.[1]

[1]. أمينة مسعودي، مقاومة الأمير عبد القادر من خلال رسائل الماريشال سانت آرنو 1837 . 1844، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، عدد 01، جانفي 2022، السنة الرابعة عشر، ص 199.

2 ـ الكشف عن وحشية الاستعمار وحملاته الصليبية:

سبق أن بينا نظرة دوتوكفيل للحملة الفرنسية على الجزائر وأنه يراها ضرورية وجالبة للحضارة كما صرح بقوله: " إن المسلمين في إفريقيا الشمالية لم يكونوا غير متمدينين "لكن واقع الاستعمار في الجزائر مخالف تماما لهذه النظرة، بل هي حملة صليبية حاقدة، وقد حاول المبشر **دوبوش Mgr. Dupuch**سنة **1844**، أن يبرر بكل مهارة ما تميزت به "حملات إفريقيا من وحشية"، متذرّعا بأن الله (من أسمائه الحسنى أنه إله الجيوش وإله المعارك) وأن (المجتمعات لا تتقدم إلا بالدماء والدموع). غير أنه استدرك في صفحة أخرى من الكتاب مؤكدا بأنه ليس ممن يؤمن بالخرافات والأباطيل، لأنه على يقين بان "الهدف[1] الذي نسعى لتحقيقه من حروبنا في إفريقيا لهو أسمى وأقدس من الهدف الذي نسعى لتحقيقه من حروبنا في أوروبا". وأن المسالة تتعلق "بقضية روحية هي قضية الحضارة، وقضية التعاليم المسيحية الخالدة التي كتب الله لها النصر المؤزّر في هذه الدنيا، وقيّض لها فرنسا لتكون لها سندا قويا".

إن الإنسان إذ يسمع هذه العبارات لا يسعه إلا أن يعتقد بأنّ صاحبها يتحدث عن شعب متوحش متجرد من الأخلاق ومن الدين. ولكن، لنستمع الى البقية الباقية من كلامه: "نحن نمتاز على العرب بالقوة التي تتمثل في الانضباط واستعمال الحراب والمدافع. ولكن، يجب أن نمتاز عليهم أيضا بالأخلاق... وما من شك أن أهالي الجزائر يشعرون بالاستياء من سلوك بعض الأوروبيين الذين توافدوا الى بلادهم. ألا يجدر بنا أن نكون أفضل منهم وأكثر منهم أمانة وصدقا؟." انه اعتراف صريح من المؤلف، وكأنه تكذيب قاطع للرسالة الأخلاقية التي يتشدّق بها. ويضيف في مكان آخر، بعبارات صريحة تقضي قضاء نهائيا على الادعاء برفع مشعل الحضارة في إفريقيا: "إن العرب أحسن أخلاقا من كثير من الأوروبيين المقيمين بالجزائر، فكيف يمكن إذن أن نتوقع منهم الامتثال لقوانيننا ومبادئنا

[1]. نفسه، ص51.

وأوامرنا؟ فالإنسان بطبيعته لا يمكن أن يتخذ كقدوة له شخصا يحتقره. ونحن اليوم لا نلتقي في المقاطعات الجزائرية سوى بالسفلة من الأوروبيين، وكل بناء يشيده أمثال هؤلاء السفلة فمصيره الانهيار"، بعد قيام المدرسة الاستعمارية بتشويه وتدنيس تاريخ الجزائر وذلك بإخراج المجتمع الجزائري من حالة التخلف والجمود من منظورهم فجاء الشعب الجزائري بشكل فعال للرد على افتراءات وادعاءات هذا العدو المتجبر وذلك بإعادة كتابة التاريخ الوطني وإعادة إحيائه من جديد .[1]

3 ـ الحركة الفكرية خلال العهد العثماني ودور المؤسسات الدينية:

من جملة الصورة التي كونها صاحب كتاب نصوص عن الجزائر(دوتوكفيل) أن المجتمع الجزائري همجي وجاهل ومتوحش وأنه لا يمكن دراسة الشعوب البربرية إلا بالسلاح، ومن الدوافع التي جعلته يغوص في عاداتهم وأفكارهم ومعتقداتهم هو الانتصار بإيجاده لعلاقات ضرورية ولكن عند إلقاء نظرة سريعة عن الحركة الفكرية في الجزائر إبان العهد العثماني نلفي انتشارا للمؤسسات الدينية التي لعبت دورا هاما في نشر الثقافة والعلم من خلال المساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب القرآنية، فنجد مثلا "مدينة تلمسان كغيرها من المدن الإسلامية التي شهدت نهضة فكرية وتعليمية، وذلك بتشجيع حكامها للعلم من خلال استدعاء كبار العلماء الى عاصمتهم، من الجزائر والمغرب والأندلس الذين أشادوا بمعالمها، ومن أمثال هؤلاء العلماء: الرحالة "أبو عبد الله محمد العبدري الحيحي" في رحلته المسماة (الرحلة المغربية)، في أواخر القرن 7هـ، ومن هنا جاءت النخبة الجزائرية لتقف موقف رافضا لكل الاتهامات والادعاءات التي جاءت بها الكتابات الاستعمارية في حق التاريخ الجزائري لثبت وجود امة جزائرية ذات مبادئ وأخلاق سابقة عن الاحتلال الفرنسي لتعيد كتابة التاريخ من جديد والتخلص من وحشية الاستعمار.[2]

---

[1]. أمينة مسعودي، مرجع سابق، ص52.

[2]. محمد صالح الصديق، يوميات في تلمسان، دار هومة، الجزائر، 2001م، ص 28.

4 ـ بروز الأمة الجزائرية:

ـ يرى دي توكفيل أنه من الضروري المحافظة على المستعمرات من أجل قوة فرنسا وشهرتها فهو يفتخر بالأعمال الإبادية والردعية المقترفة في حق الجزائريين ويشجع على الاستمرار في عمليات القمع والاضطهاد ويصرح قائلا: " إننا جعلنا المجتمع المسلم بائسا فوضويا جاهلا وبربريا "فمفتاح السيطرة لدى القوى الإستعمارية من منظوره كان الإحتكام إلى سياسة "فرق تسد". فدوتوكفيل هنا تعمد تجاهل عامل جد مهم في الهوية الجزائرية، هو أن الحماية العثمانية للجزائر كانت مسلمة وأن غالبية السكان من بربر كانوا يدينون بالإسلام، والخلافات التي كانت تنشب من حين إلى آخر بين رموز الحماية العثمانية وبين رؤساء القبائل لم تتحول قط إلى نزعة جماعية للجزائرين إلى التخلص من الوجود العثماني.

ـ يبدي دي توكفيل نظرته الى الشعب القبائلي على أنه شعب ملذات وشهوات وأن القبائل ما هم إلا للمتعة الجنسية فقط، حيث ألصق بهم كل الصفات الذميمة والقبيحة. فمنذ البداية كان التصنيف البشري لسكان الجزائر قائم على نية غير بريئة، فهؤلاء بربر وأولئك عربحيث يصرح دي توكفيل في حق الشعب القبائلي قائلا: "القبائلي إيجابي أكثر أقل إيمانا وأقل حماسة بكثير من العربي، فعند القبائل الإنسان هو تقريبا كل شيء والمجتمع تقريبا لا شيء وهما أبعد للإنصياع بشكل جماعي لقوانين حكومة واحدة شكلت منهم على أن يتبنوا نظامنا". وهذا الوصف ظالم لإخواننا البربر لأن أهم المماليك التي توالت في الجزائر منذ الفتح الإسلامي كانت بربرية بالأساس. ثم إن الرجل أوهمنا بأن الدولة العثمانية تركت بلدا ضعيفا واهنا تعمه الفوضى والأحقاد، فالجزائريون لم يضيعوا وقتهم في محاسبة العثمانيين وتخلفهم عن ممثليهم في الجزائر الذين بذلوا ما بذلوه لصد العدوان، بادروا فورا إلى لم صفوفهم وجمع

الأنصار حول لواء المقاومة والصمود. هذا ما كانت عليه الأوضاع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في وطننا. [1]

حيث يتحدث دي توكفيل عن اختلاف الأعراق واللغات والشعوب، وكان ينظر الى الجزائر على أنها أعراق وقبائل متفرقة، ولكن منذ متى كان ينظر الشعب الجزائري في 1830 إلى نفسه أنه عدة أعراق وعدة شعوب، فهذا محض خيال. صحيح أنه كانت هناك تعددية عرقية في الجزائر ولكن في ظل الإسلام كان الناس إخوة في الله ولا فضل على بعضهم البعض إلا بالتقوىفكل ما هدفت إليه السلطة الفرنسية هو الدعوة الى التفرقة بين القبائل والعرب فكان هناك تعاون قوي بين القبائل الجزائرية لمواجهة الاحتلال الفرنسي ومن بين هذه القبائل العرب الأمازيغ من خلال علاقتهم الاجتماعية ومشاركتهم في عدة حملات ضد الاحتلال الفرنسي للتأكيد على أنهم أمة واحدة متماسكة[2].

5 ـ العلماء أمام المؤامرة الاستعمارية:

ميز دوتوكفيل في بعض الفروقات الجسدية والثقافية بين الأمازيغ والعرب في الجزائر، فقدم بعض الفروقات التي تتمثل في قوله: "أن القبيلة القبائلية لا تشبه القبيلة العربية في شيء، تشكيل المجتمع عند العربي ارستقراطي قدر المستطاع بالسيطرة على الأرستقراطية تسهل السيطرة على كل الباقي، أما شكل الملكية وتنظيم الحكم عند القبائلي هم أكثر ديمقراطية" ومن خلال قوله يتبين لنا أنه دعا الى التفريق بين القبائل والعرب ومنه جاء الرد من منطقة القبائل على المستعمرين اللذين حاولوا خلق الخلافات في أوساط الشعب: "لن نتخلى أبدا عن ديننا، وإذا أرادت الحكومة أن تفرض علينا ذلك نطلب منها وسيلة لترك البلاد، وإن لم نجد وسيلة فإننا نفضل الموت على التخلي عن ديننا".

---

[1]. عفاف عنيبة، مرجع سابق، ص 25

[2]. نفسه، ص 26.

لقد وقف مثقفونا وقفة رجل واحد ضدّ سياسة تقسيم الوطن، إنهم أثبتوا دائما أن الأمازيغ والعرب قد جندهم الإسلام الذي جمعهم في بوتقة واحدة منذ قرون، إنهم شعب واحد يتحد مع الدين واللغة والتاريخ والمشاعر والأحاسيس والآلام والآمال لا يمكن أن نمزقه بهذه السهولة، بعدما سعت فرنسا الى تطبيق سياسة التفرقة واستغلال التنوع الثقافي بين القبائل الى مصدر صراع، رفض الجزائريون قيم التمييز والتفرقة التي حاولت فرنسا فرضها عليهم، فناضل الشعب الجزائري بوحدته وتضامنه ضد هذه السياسات الاستعمارية والتمكن من إعادة بناء مجتمعه من جديد بعدما قامت فرنسا باستغلالها للتنوع الثقافي بالجزائر.[1]

6 ـ أكذوبة المهمة الحضارية لفرنسا:

فيرى دي توكفيل أن النظام القائم في الجزائر هو نظام غير حضاري وانه شعب متخلف، حيث دعا الى محاربتهم بشتى الطرق وجلب الحضارة لهم من خلال قوله: "العرب هم أكثر حاجة الى المدن أكثر مما يتصورون هم أنفسهم" مضيفا كذلك "عندما نكون قد تعرفنا على اللغة، الأحكام المسبقة وتقاليد العرب، وبعد ما نكون قد ورثنا إحترام الرجال، الإحترام الذي يحملونه دائما نحو حكومة مستقرة، سيكون متاح لنا أن نعود شيئا فشيئا إلى عاداتنا وفرنسة البلاد من حولنا." هنا يُكشف الوجه الحقيقي لأكذوبة المهمة الحضارية لفرنسا بالجزائر ،مما يوحي في تعبيره الى فرنسة الشعب الجزائري ولا يفهم من الفرنسة فقط تثبيت اللغة الفرنسية على اللسان الجزائري بل تتعداها وهذا بشهادة السيد أونارت يقول:"عندما زرت الجزائر، استدعى إنتباهي وأنا أتجول في طول وعرض هذا البلد حرص المحتلين الفرنسيين على تشويه معالم العمران الجزائري الأصيل بوضع أمام المساجد والبنايات ذات الطابع الإسلامي بنايات وعمران ذات طابع غربي فرنسي وهذا في محاولة منهم لطمس معالم الشخصية الجزائرية المسلمة!" فالإحتلال الفرنسي كان أحد أبشع أنواع الإستعمار فقد

[1]. كمال بوشامة، الجزائر أرض عقيدة وثقافة، تر: محمد المعراجي، دار هوما للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص 95/94.

هاجم منذ البداية أسباب تماسك ووحدة الشعب الجزائري والنتيجة كانت فظيعة بحيث كاد هذا الشعب تحت ضربات الفرنسة والتمسيح أن يفقد أسباب عزته ورموز هويته ومضامين إنتماءه الديني. غير أن القدر وإرادته الذاتية في المقاومة نجحت في إنتشاله من الجب الذي أوقعته فيه سياسة فرنسا الرامية إلى سلخه عن جذوره.إن كل ما رمت إليه فرنسا من افتراءات في حق الشعب الجزائري على انه شعب متخلف، فرد الشعب الجزائري على هذه الافتراءات بالمقاومة والصمود وذلك بإظهار الحضارة والثقافة ونضالهم من أجل نيل الحرية وتعزيز نفوذهم الثقافي وتبني صورة جديدة عن شعبهم .[1]

7ـ الثقافة في الجزائر إلى غاية الإحتلال في سنة 1830:

أثناء زيارة دي توكفيل للجزائر في عام 1830، قام بدراسةالثقافة والحياة الإجتماعية في الجزائر، حيث رأى أن الجزائريين كانوا متخلفين وكان ينظر الى الثقافة الفرنسية على أنها أفضل وأكثر تطورا، ومنه جاءت الجزائرلتواجه انشغالات مماثلة للتي عرفها جيرانها في المغرب العربي، حيث كانت الروابط معهم وثيقة، فبدت الحدود الفاصلة للجميع وخاصة للمسافرين الآتين إليها يحدوهم شغفهم بنهل العلوم غير واضحة، لا.. بل إنها لم تكن ذات وجود قط.. تشترك في نفس التقاليد، ما عدا بعض الاستثناءات وثقافة موروثة عن السلف، تغذيها القيم الروحية والأخلاقية نفسها، ولها تفرعات عديدة في البلدان الثلاثة، وحتى فيما يتعداها، مما جعل المغرب العربي كيانا واحدا مزّقته اجتياحات الأجانب، والصراعات الداخلية على السلطة الزمنية، وزعزعته بصفة جدية.

لقد درج العلماء الجزائريون على الانتقال من بجاية إلى القيروان إلى مراكش الى المرج (برقة بمنطقة طرابلس) الى القاهرة الى دمشق الى بغداد، وكانوا يتحركون جميعا تحدوهم الحاجة الى خدمة قومهم، والعمل بتعاليم الدين الإسلامي، وبالتالي كانت بجاية وتلمسان ومدينة الجزائر مدناً مشهورة عبر ثقافتها كباقي الأماكن في المغرب العربي وفي

[1]. عفاف عنيبة، مرجع سابق، ص 26.

مشرقه، وقد تميزت بعدد علمائها ومدارسها ومكتباتها وبحياتها الاقتصادية الهامة، إذ إنها جمعت أمهر الحرفيين عملوا على تصدير المواد المصنعة، وقد فرضت تلك المدن نفسها كبؤر تعمّ فيها أفكار التقدم ويجند فيها العلماء والطلبة أنفسهم في مجال الفقه والأدب والفلسفة والعلوم الإنسانية وعلم الفلك والطب، كانت الثقافة الجزائرية قبل الاحتلال متنوعة وغنية بأعمال فنية وأدبية وفلسفية، وكانت تتميز بتنوعها الاجتماعي واللغوي والديني، حيث كان الأمازيغ يمثلون جزءا كبيرا من الأسس اللغوية والثقافية في الجزائر، فكانت الثقافة الإسلامية تلعب دورا فعالا في البناء الحضاري واللغوي والفكري، فتمت استعادة الثقافة الجزائرية وتثمينها من خلال مجموعة من الأدباء والمفكرين وترميم ثقافتهم من خلال المدارس والمساجد والزوايا وإعادة التركيز على إحياء التراث الثقافي .[1]

لذا فإن تلك المدن كانت مراكز حضارية حساسة، وبالتالي: لم تكن الجزائر ذاك البلد الذي ادعى المستعمرون البرهان على أنه ذو وجه منفّر متوحش، ينبغي احتلاله لتدجينه أو لتمدينه، حسب ما استعملوا من صيغ.[2]

8 ـ مساهمة النخبة الباديسية في إعادة الاعتبار للتاريخ الوطني:

أبدى دي توكفيل في كتاباته عن الجزائر روحا عدائية ضد العرب المسلمين موقفا مناصرا للاستعمار ومشجعا على الاحتلال وداعيا الى الاستيطان الأوروبي في الجزائر باعتباره العامل الأساسي الذي يكرس الهيمنة الفرنسية، كما عمل على شن حرب ظالمة

[1]. كمال بوشامة، المرجع السابق، ص 52.

[2]. نفسه، ص 53.

ضد الجزائريين وإخضاعهم وإرغامهم على الرضوخ بتدمير أسس حياتهم المادية والمعنوية والقضاء على حركات المقاومة مثل حركة الأمير عبد القادر، التي صنفها من منظوره في خانة الأعمال الإرهابية. التي تستوجب في رأيه استعمال العنف والتدمير حتى يترك الأهل مكانه، وللرد على ما صرح به دوتوكفيل في حق الشخصية الوطنية ارتأينا أن الجزائر تعتبر نموذجا في تجسيد دور المؤسسات وأن الحياة الثقافية بالجزائر تهتم بكل ما يتعلق بالشخصية الوطنية الجزائرية وبمختلف التأثيرات التي تعرضت لها في الفترة العثمانية، فنجد من بين الشخصيات التي ساهمت في إعادة كتابة التاريخ الوطني والتصريح بأن الاسلام عبادات ودين ودولة وعلم وحضارة وثقافة، ومن ابرز رواد النهضة العربية الإسلامية الحديثة (الإمام عبد الحميد بن باديس)، حيث كان الوطن عنده أهم المفاهيم قربا الى وجدانه وهذا واضح من خلال شعار مجلته "المنتقد (الحق فوق كل أحد والوطن فوق كل شيء)، يتضح أن الوطن إذا كان مكانا أو قطعة أرض ففضله على الإنسان كبير، فسعى جاهدا الى إثبات الهوية الوطنية الجزائرية فصرح بعدم التعصب في الموقف والآراء وعدم التصلب على رأي واحد، فبذل جهدا لإعادة الشخصية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري من خلال:

أ ـ تأكيد الشخصية الوطنية الجزائرية:

إنما ذهب دي توكفيل هو القضاء على الدين الإسلامي والدعوة الى القضاء على مبادئه وذلك بتعزيز الغزو العسكري بغزو فكري ثقافي يهدف الى تحطيم الشخصية الوطنية للشعب الجزائري ومن ثمة جاء ابن باديس رائد النهضة العربية الإسلامية الحديثة لإعادة الاعتبار للشعب الجزائري وتأكيد الشخصية الوطنية فهو أول من حدد فكرة الوطن الجزائري في النصف الأول من القرن العشرين، بعد أن ظنت فرنسا أن الجزائر أصبحت مقاطعة فرنسية وذلك قبل أن تتمكن من احتلالها كلياً، ولما استطاعت القضاء على ثورة الأمير عبد القادر التي استمرت حتى 1847، ثم بعد ذلك بعام،أي في 1848 قامت فرنسا بإصدار مرسوم تعلن فيه أن الجزائر جزء لا يتجزء من فرنسا.

مهد الإمامعبد الحميد ابن باديس للقطيعة التامة بين الفرنسيين والجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية، وكشف النقاب عن عبث جميع المحاولات التي قامت بها فرنسا، أو بعض زعماء الأحزاب السياسية الجزائرية في الثلاثينات والأربعينات، ففي سنة 1926م أصدر جريدة "المنتقد" بهذا العنوان: "الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء"، لذلك نرى كم من الأهمية لهذا الوطن الجزائري في فكر ابن باديس، حتى اعتبر الوطن قبل كل شيء، فالجزائر إذن هي المعين الذي ينهل منه ابن باديس، ساهمت النخبة الجزائرية في إعادة كتابة التاريخ الوطني وإخراج المجتمع الجزائري من الظروف القاسية والمزرية وذلك من خلال مساهمة مجموعة النخبة الجزائرية على رأسهم ابن باديس الذي دعا الى التعليم والإصلاح والمساواة مبررا ما قيل في حق شعبه.[1]

ب/ الأبعاد الفكرية لثقافة التغيير عند ابن باديس:

هدف دوتوكفيل كان واضحا من خلال إلحاق الجزائر بفرنسا إبقاء الشعب الجزائري في عبودية دائمة والدعوة الى ربط الاستيطان وجعله أرض فرنسية من خلال نقل الثقافة الجزائرية واستبدالها بالثقافة الفرنسية فجاء ابن باديس كرجل مدافع يهدف الى التغيير فشكلت الجزائر الهاجس الأكبر لفكره وممارسته لما أضحت تعانيه من ويلات الاستعمار وتعسفاته ومحاولاته لطمس معالم شخصية الأمة الجزائرية الوطنية والقومية بكل ملامحها، فما كان منه إلا البحث عن واقع الجزائري محاولا استكشافه ودراسته وتقييم جميع الطرق والوسائل والاحتمالات التي تؤدي من جهة الى التصدي للمستعمر ومن جهة استعادة الشخصية الوطنية للجزائر، فاللغة العربية هي القومية اللسانية والتاريخية والثقافية، والقومية عند ابن

[1]. فراس حمد فرسوني، الفكر التحرري عند عبد الحميد بن باديس وأثره في استقلال الجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية قسم العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا،2009، ص 62.

باديس لأنها تعبر عن الهوية والمقوضات الذاتية وهي لغة التفكير القومي الذي هو أساس تفكيرنا[1].

كما يقوم منهج ابن باديس على إصلاح المجتمع الجزائري على الرفق بالناس والتسامح معهم والابتعاد عن الغلطة التي تنفر الناس من الدعوة، وعدم اللجوء الى زرع البأس في النفوس بالأسلوب الجارح، وقد جاء في تفسيره: "فلا يقال للكافر عند دعوته إنك من أهل النار، ولكن تذكر له الأدلة على بطلان الكفر وسوء عاقبته ولا يقال للمبتدع يا ضال وإنما تبين له البدعة وقبحها " فمن أهم الفكر السياسي لديهم هي عدم التعصب في المواقف والآراء، وعدم التصلب على رأي واحد فقط، فقد بذل جهدا لإعادة الشخصية العربية الإسلامية على أفراد المجتمع الجزائري ورسم خطة البناء والنهوض، فانطلق في التربية والتعليم لتكوين قاعدة صلبة حيث عمل على تطبيق المساواة بين أفراد المجتمع[2].

كما امتاز نشاطه بالمرونة والتكيف مع الظروف السياسية القائمة ملتزما الحيطة والحذر حفاظا على سلامة الأمة ومصالحها، فقد سعى جاهدا من أجل التغيير حريصا على تجنب الصدام مع الإدارة الاستعمارية، إذن فابن باديس دعى الى التعليم واعتبره شرط من شروط التغيير الحضاري وذلك من خلال تأسيس الجمعيات كجمعية العلماء المسلمين الامتثال بمبادئ اللغة العربية[3].

9ـ محاولة الرد على ادعاءات وافتراءات المدرسة التاريخية الاستعمارية:

أصر دوتوكفيل على أن يجعل الجزائريين أهالي أوروبيين وفتح مجال العنصرية الملزمة بقوانين استثنائية لفائدة الجالية الفرنسية على حساب الشعب الجزائري فكل ما ذهب

---

[1]. بن الدين بخولة، الأبعاد الفكرية لثقافة التغيير في الخطاب الباديسي، مجلة الذاكرة، جامعة شلف، جوان 2018، ص 72.

[2] نفسه، ص74.

[3] نفسه، ص 77.

إليه دوتوكفيل من قول متمثل في طمس الهوية الجزائرية والاستيلاء على الأراضي وأنه يمكن القضاء على الأمير عبد القادر وأن الشعب الجزائري شعب همجي ومتخلف يمكن الإشادة ببعض الكتابات القيمة التي نادت بضرورة كتابة تاريخ الجزائر بمناهج ورؤى جديدة وتخليصه من الاستعمار، فقد جاءت هذه الكتابات لتدافع عن حق الجزائر والجزائريون وعن تاريخهم وتراثهم الأصيل بعد أن قامت نخبة من المفكرين الأجانب لاسيما الفرنسيون منهم واللذين سعوا الى تشويه تاريخ الجزائر خاصة تاريخ الثورة الجزائرية، وأكدت على الهوية الوطنية الجزائرية والانتماء العربي الإسلامي حيث حاولوا بمختلف الوسائل قطع الصلة الحضارية والروحية التي تربط الجزائر بالأمة الإسلامية ومن هنا تم تأكيد استقلالية الجزائر ثقافيا وحضاريا عن فرنسا والمنظومات الفكرية الغربية، حيث سعت الجزائر الى إعادة إحياء التراث المتنوع الذي عملت فرنسا على طمسه واندثاره من خلال الأنشطة والفعاليات الثقافية والتعليمية كذلك حرصهم على إبراز دور الجزائريين في تحقيق الاستقلال.[1]

10:إبراز بطولات السلف في الجزائر ومحاولة بناء ثقافة وطنية جديدة:

يرى دوتوكفيل أن العرب يعيشون أوضاعا جد صعبة بسبب التخلف السياسي والاقتصادي الناجمين عن عجز وتخلف الثقافات التي تتعلق بالإنتاج الفكري في مختلف المجالات وآثاره الفنية والتطبيقية فحارب التعليم العربي حيث أبدى رأيه قائلا : "إن الفوضى العربية ذات العواقب الوخيمة جدا على هذه الشعوب مضرة لنا نحن أيضا ذلك أننا ونحن لا نملك إرادة إخضاعهم فجأة بسلاحنا ولا القدرة على ذلك، ليس بإمكاننا سوى الأمل في التصرف معهم عبر المدى الطويل عبر الاتصال بهم بأفكارنا وفنوننا"، فدوتوكفيل حاول طمس الحقائق التاريخية لتبرير الاستعمار الفرنسي للجزائر، فيرى أن المجتمع الجزائري مجتمع غير منظم ولتبرير ذلك نذهب للقول أنه من المستحسن بعث الماضي بما فيه من

[1]. فاطمة الزهراء رحماني، محمد درّاج، مساهمة النخبة الجزائرية في كتابه لتاريخ الوطني من خلال "مجلة الأصالة" مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، ص 276.

أصول العرافة والإبداع وجعله حبا يتفاعل مع الحاضر، وهذا من أجل تهيئة الجيل الجديد لمواصلة مسيرة الأسلاف فتتوثق الصلة وتترسخ فيهم الروح الوطنية وفي هذا الصدد تحدث العديد من الجزائرية عن بطولات الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي من خلال مقاوماتهم المختلفة والتي امتزجت بمقومات شعبية ودينية عبر كامل التراب الوطني فنجد بعضهم ركز على الأمير عبد القادر كما اهتمت أيضا بمقاومة شيوخ وأعيان الجزائر مثل مقاومة المقراني والشيخ بوعمامة... الخ.[1]

[1]. فاطمة الزهراء حماني، دراج محمد رابح، مساهمة النخبة الجزائرية في كتابة التاريخ الوطني من خلال "مجلة الأصالة" مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، نوفمبر 2018، ص 276.

خاتمة

خاتمة

في ختام بحثنا وبعد دراستنا هذه لصورة الجزائر في كتابات دوتوكفيل، خلصنا إلى جملة من النتائج نورد أهمها فيما يلي:

ـ ساهم الخطاب الكولونيالي بشكل كبير في تسهيل عملية السيطرة على تلك الأراضي طيلة القرون الأربعة الفائتة، وتجلت بطرق متعددة، منها:

ـ الوصف العنصري للشعوب المستعمَرة وتهميش الآخر وأنهم أقل تحضرا.

ـ استخدام الدين والثقافة كذريعة للتدخل في الأراضي المُستَعمَرة، حيث يدّعي المستعمِرون أنهم يسعون الى تحرير هذه الشعوب من العبودية كون أوروبا تعد نفسها مركز العالم وناقل للنور الى تلك المناطق.

ـ اكتشاف الأهداف الباطنية للخطاب الكولونيالي التي تتمثل في تمجيد القيم الغربية المادية الرأسمالية والنصرانية، وتشويه كل القيم التي ليس لها علاقة بالدين المسيحي وعلى سبيل المثال نذكر "الدين الإسلامي" والتسلط عليه من خلال دراسة أحوال المسلمين الفكرية ومقاومتها بكل الوسائل، بالإضافة الى السعي الى استغلال الموارد المادية والبشرية في خدمتهم.

ـ مساهمة دراسات مابعد الكولونيالية في محاولة فهم تأثير الاستعمار والهيمنة الاستعمارية على الثقافة والاقتصاد والسياسة والمجتمعات في البلدان التي تأثرت بهذه الهيمنة، بالإضافة الى دراسة الصورة النمطية الخاطئة والمغلوطة التي ينشئها المستعمِر حول الشعوب المستضعفة لتبرير سيطرته واستعماره، فاتخذوا من ذلك دراسة منهجية نقدية وتحليلية.

ـ هناك الكثير من الكتابات الأوروبية التي وثقها الرّحالة الذين قاموا بزيارة الجزائر وتغنوا بجمال الطبيعة وطيبة شعبها، لكن هذا لا ينفي الى أنه لا يجب النظر الى هذه الكتب

بطريقة نقدية مع الانتباه الى تأثير العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية على وجهات نظر الرحالة وتفسيراتهم.

ـ هَدفَ دوتوكفيل من كتاباته ورسائله عن الجزائر، كان تقييم الوضع الاجتماعي والثقافي والسياسي في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي، وتقديمه لوجهة نظر لكيفية الغزو، كما ركز على تحديات الهجرة وإنشاء مستعمرات. وأيضا تحدث عن التأثير الديني الذي يعتبره حسب رأيه سبب للجهل والتعصب لدى الشعب، لكن صورة الدول المستعمرة تبقى وجهة نظر لا أساس لها من الصحة ولكي نبرر هذا استنتجنا مايلي:

ـ التاريخ العريق والثري للجزائر، حيث ازدهرت الحضارات الأمازيغية والإسلامية في الأراضي الجزائرية، وبالتالي فهي تمتلك تراثا ثقافيا غنيا.

ـ علاقات الجزائر بالعديد من دول إفريقيا والشرق الأوسط طيلة العصور الفائتة.

وفي الأخير لا يسعنا إلّا القول أن هذا العمل بحاجة الى مزيد من الدراسة والتوسع، وأن الجهد لم يكن كافيا نظرا لضيق الوقت وشساعة مصادره وغزارة معارفه.

والله ولي التوفيق.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1) أليكسي دوتوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر: إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية2008.

2) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر،بيروت،ط1، 1997، مجلد 2، مادة خ . ب.

المراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ظ1، د.غ.إ.، بيروت 1996م.

2. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830م .1855م، م وك، الجزائر،1989م.

3. ابو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية ج1.ط1,دار الغرب الاسلامي. لبنان.

4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج5، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، 1996.

5. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال،ط1، ش ون ت، الجزائر،1982م.

6. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال.

7. أحمد طالب إبراهيمي، من نصفية الاستعمار الى الثروة الثقافية، تر: عيسى حنفي، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر.

8. أحميدة عمرواي، الجزائر في ادبيات الرحلة والاسرى خلال العهد العثماني، مذكرات تيديا أنموذجا، ط1،دار الهدى، عين مليلة الجزائر 2009.

9. إدوارد سعيد، الاستشراق، تر: د. محمد عناني، طبعة 1955 المزيدة، دار بنجوين العالمية 1995 رؤية للنشر والتوزيع 2006.

10. ادوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، الطبعة الرابعة 2014، دار الآداب للنشر والتوزيع، ساقية الجنزير . بناية بيهم ص.ب. 11 ـ 4123، بيروت لبنان.

11. آمال علاوشيش . أستاذة محاضرة جامعة الجزائر (2)، قراءة ما بعد الكولونيالية.

12. أمينة مسعودي، مقاومة الأمير عبد القادر من خلال رسائل الماريشال سانت آرنو 1837 1844، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، عدد 01، جانفي 2022، السنة الرابعة عشر.

13. مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم خلال الحكم العثماني 1518م . 1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة) جامعة تقرت 2013.

14. آنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية تر:محمد عبد الغني غنوم دار الجوار للطباعة والنشر والتوزيع سوريا، ط1، 2007.

15. باجمان فاطمة، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830. 1852، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ، جامعة أدرار،2013.2014.

16. بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830ـ 1833، قسم اللغة العربية، دار النفائس، تاريخ الإصدار، 1 يناير 1986.

17. بن الدين بخولة، الأبعاد الفكرية لثقافة التغيير في الخطاب الباديسي، مجلة الذاكرة، جامعة شلف، جوان 2018.

18. بن فرحات عامر، الحقيقة التاريخية لظاهرة الاستعمار في حوض البحر المتوسط، الجزائر نموذجا 1830,1962،ملخص مشروع ماجستير تاريخ، قسم تاريخ. جامعة الجزائر 2006.

19. بورايو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، در ماجستير في الأدب، شعبة أدب الرحلات، مرقونة، حمادي عبد الله، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007 . 2008م،ص155.

20. بوعزة بوضرساية، الجرائم الفرنسية والابادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954،طبعة خاصة وراك المجاهدين، 2007.

21. بيل اشكر وفت، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ت ر:أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1 2010.

22. حنفاوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن منشورات الإختلاف، الجزائر ط1، 2007

23. حنفاوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم . ناشرون، منشورات الاختلاف 14 شارع جلول مشدل، الجزائر العاصمة، 2007 .

24. حياة فنون. الاستيطان الفرنسي ومصادرة اراضي الجزائريين خلال القرن 19.مجلة الحوار المتوسطي. ع43.قسم التاريخ. جامعة سيدي بلعباس .

25. د. عبد الله إبراهيم، التّخيل التاريخي؛ السرد والإمبراطورية، والتجربة الاستعماريّة / نقد . أدب، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2011.

26. د. محمد ارزقي فراد. تحرير تاريخنا من المدرسة الكولونيالية "بلاد الزواوة انموذجا" منبر حوار الافكار، منشورات المجلس 2012.

27. د.رزيق محمد، المثقف والسلطة (أليكسيس دي توكفيل وشرعتنه للسيطرة والاستيطان في الجزائر من خلال ثلاثة وثائق)، العدد 9 . جوان 2014، كلية العلوم السياسية ـ جامعة الجزائر3.

28. الدكتور محمد كريم الساعدي، **الإشكالية الثقافية لخطاب ما بعد الكولونيالية (المسرح أنموذجا) جدلية الضد الثقافي لأفعال الكولونيالية الجديدة.** دار الفنون والآداب للطباعة والنشر والتوزيع' الطبعة الأولى 2016م.

29. دليل الناقد الأدبي، د ميجان الرويلي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب 42 الشارع الملكي الاحباس، الطبعة الثالثة 2002.

30. دينزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، مج 2، طخ دار الأمة، الجزائر، 2009.

31. رابح لونيس واخرون. تاريخ الجزائر المعاصر 1830.1989ج1,دار المعرفة.

32. زاهر رياض، استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،1965 .

33. سارة ميلز، الخطاب، تر: عبد الوهاب علوب، شارع الجبايلية بالأوبيرا، الجزيرة القاهرة 2016.

34. سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر؛ أبو العيد دودو، د ط، ش ون ت، الجزائر، 1947.

35. شارل روبيرا جيرو، تاريخ الجزائر المعاصرة، كتب تاريخ قارات العالم، كتب التاريخ 1982.

36. شونبيرغ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، تر ؛ دودو، مج 1، ط خ، د الأمة، الجزائر،2009.

37. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، يناير 1978 . بإشراف أحمد مشاري العدواني

38. طارق ثابت، هوية الأدب بين الحضور والغياب في خطاب النقدي العربي مابعد الكولونيالي، مجلة الآخر ، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي كلية الأدب واللغات، الجزائر ديسمبر 2014.

39. طيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار النشر المنابع، الجزائر 2004.

40. الطيب ذروني: الوسيط في الجنسية الجزائرية. الكاهنة، الجزائر 2002.

41. عبد الله خلف التميمي، الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي، "المغرب العربي، فلسطين، الخليج العربي، دراسة تاريخية مقارنة، عالم المعرفة، الكويت، نوفمبر 1983.

42. العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في ق19،دار المعرفة، الجزائر 2006.

43. عفاف عنيبة، الأربعاء 9 أيار 2012 17:45، الرؤية الاستدمارية لأليكسيس دي توكفيل الجزائر انموذجا، 2023.05.05، موقع نظرات مشرقة.نت natharatmouchrika.net.

44. عقيلة ضيف الله، سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر(1830 . 1854)، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية.

45. علي زيكي؛ تمهيد دحو جربال،2016، كتابات دوتوكفيل عن الجزائر 1837. 1847 (دوتوكفيل بين الديمقراطية والاستبداد)، 2023.05.05، مركز دراسات الوحدة العربية.

46. علي محمد(محمد) الصّلّابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، دار المعرفة . بيروت لبنان.

47. عمار هلال، احتلال الجزائر من خلال أدب الرحلة الألمان في القرن 19، في مجلة الثقافة السنة 12، العدد 72 محرم صفر، نوفمبر ديسمبر1982، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .

48. عميراوي أحميدة: قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للنشر، عين مليلة.

49. عميراوي حميدة، صورة الجزائر قبل 1830م في مصادر أوروبية، جريدة الفجر يومية جزائرية الجزائر، نص.

50. عيسى شنوف، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة، الجزائر،2008.

51. فاطمة الزهراء حماني، دراج محمد رابح، مساهمة النخبة الجزائرية في كتابة التاريخ الوطني من خلال "مجلة الأصالة" مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، نوفمبر 2018.

52. فراس حمد فرسوني، الفكر التحرري عند عبد الحميد بن باديس وأثره في استقلال الجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية قسم العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا،2009.

53. فرحات عباس، ليل الاستعمار، فيلا 6حي سعيد حمدين، 2012 الجزائر 2005

54. فرغلي علي تسن هريدي: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر الكشوف والاستعمار والاستقلال، دار العلم والايمان، ط1بالقاهرة 2008م.

55. قندال جمال، المؤرخ الفرنسي بيير فيدال ناكي ودعم الثورة الجزائرية (1857 . 1962)، جامعة الشلف، الجزائر، المجلد الحادي عشر، العدد 2، سبتمبر 2020.

56. قندوز عبد القادر، الأمير عبد القادر في كتابات الدكتور أبو القاسم سعد الله، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ـ جامعية سيدي بلعباس ـ، المجلد 07، العدد 02، ديسمبر 2016.

57. كمال بوشامة، الجزائر أرض عقيدة وثقافة، تر: محمد المعراجي، دار هوما للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007..

58. لونيسي إبراهيم، سياسة التعذيب في الجزائر وأهدافه. مجلة عصور، وهران، جوان 2002.

59. مجدي عز الدين حسن، مجلة الاستغراب، نقد الكولونيالية من منظور ادوارد سعيد، العدد 12،2018م/ 1439هـ.

60. المجلس الأعلى للغة العربية، (من محنة الكولونيالية الى إشراقة الثورة التحريرية).

61. محمد أرزقي فراد، تحرير تاريخنا من المدرسة الكولونيالية "بلاد الزواوة نموذجا"، منشورات المجلس2012.

62. محمد صالح الصديق، يوميات في تلمسان، دار هومة، الجزائر، 2001م.

63. محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي ـ عربي، الطبعة الثالثة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان.

64. محمد قاوبار، سيسيولوجيا الإنتاج المعرفي الكولونيالي بشأن التربية والتعليم في المغرب، عمران للعلوم الاجتماعية والانسانية، المجلد الخامس، صيف 2016.

65. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر المغرب ج14ط2الكتب الاسلامي، بيروت 1992م.

66. مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، تر:حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر الجزائر 2007، فيلا 6، حي سعيد حميدون ـ 16012، الجزائر.

67. ميشال فوكو، نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا. دار التنوير للطباعة والنشر.

68. نادية طرشون، الهجرة الأوروبية نحو المشرق العربي، طبعة خاصة لوزارة المجاهد، الجزائر 2007.

69. نايجل سي. غبسون، فانون المخيلة بعد الكولونيالية، ترجمة خالد عايد أبو هديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

70. هانز بيرتنز، النقد والنظرية مابعد الكولونيالية، تر عمرو زكرياء، مراجعة سيزا قاسم.

71. هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، تر: أبو العيد دودو،ج1، 2 3، مج، 2ط ح، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

72. هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع. ط1. 1432هـ.2011.

73. هو أمين الخزانة، وكان يطلق في الغالب على القائم بالحفاظ على أموال كبار رجالات الدولة، أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،م م،م ف و، السلسلة الثالثة، 43، الرياض، 2000.

74. هومي بابا، موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، دار الثقافة،الطبعة الأولى2004، العدد 569.

75. يحي بوعزيز. سياسة التسلط الاستعماري. مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830.1954سنة 2009.

76. يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى القرن 20 (الإستعمار الأوروبي الحديث و آسيا)، دار البصائر، الجزائر 2009،

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وتقدير	
اهداء	
مقدمة	أ
مدخل: نظرة عامة في الاحتلال الفرنسي للجزائر	**5**
الفصل الأول: الخطاب الكولونيالي مفهومه وأهدافه	**21**
المبحث الأول: مفهوم الخطاب الكولونيالي:	**22**
المبحث الثاني: أهداف الخطاب الكولونيالي وتنظيرات ما بعد الكولونيالية:	**36**
المبحث الثالث: حضور الجزائر في الكتابات الأوروبية	**42**
الفصل الثاني: صورة الجزائر في كتاب "نصوص عن الجزائر في فلسفة الإحتلال والإستيطان"	**65**
المبحث الأول: كتابات دوتوكفيل عن الجزائر(نصوص عن الجزائر)	**64**
المبحث الثاني: صورة الجزائر في كتاب (نصوص عن الجزائر)	**73**
المبحث الثالث: الرد على صورة الجزائر عند دوتوكفيل	**92**
خاتمة	**108**
قائمة المصادر والمراجع	**111**
فهرس المحتويات	**120**